

١٨٠

تاريخ المصريين

الحقيقة التاريخية حول
قرار تأميم شركة قناة السويس

بقلم
د. عبد العظيم رمضان



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

0195368



Bibliotheca Alexandrina

(١٨٠)

تاريخ المصريين

● تاريخ المصريين

رئيس مجلس الإدارة:

د. سمير سرهان

رئيس التحرير:

د. عبد العظيم رمضان

مدير التحرير:

محمود الجزار

تصدر من

المدينة المصرية العامة للكتاب

الحقيقة التاريخية حول قرار تأميم شركة قناة السويس

بقلم
د . عبد العظيم رمضان



الجمعية المصرية للكتاب

فرع الصحافة

٢٠٠٠

الإشراف الفني :

محمود الجزار

تقديم

يضم هذا الكتاب مجموعة المقالات التاريخية التي نشرتها في جريدة الوفد الغراء ردا على فيلم « ناصر ١٩٥٦ » ، الذي أثار عرضه ضجة في الرأي العام المصرى والعربى منذ عرضه .

كان هدفى من كتابة هذه المقالات وقتئذ التصدى للأباطيل التي قدمها هذا الفيلم ، بمحاولته تصوير قرار تأميم شركة قناة السويس فى صورة عمل بطولى خالد واخفاء الأخطاء القائلة التي ارتكبها عبد الناصر عند اتخاذ هذا القرار ! فلقد كان من حق الشعب المصرى والشعوب العربية معرفة الحقيقة التاريخية حول هذا القرار وما ترتب عليه ، من واقع الوثائق التاريخية الأصلية التي لا تكذب ، بعيدا عن الدعاية والتزويق !

وكان لى هدف آخر هو أن تفصل الشعوب العربية دائما بين ما تسوقه الأفلام التاريخية من مشاهد وروايات

تفرضها الحكمة الفنية أو تقودها الأغراض السياسية ، وبين
الحقائق التاريخية التي يكتبها مؤرخون أكاديميون يحققون
الوقائع التاريخية من أرضية موضوعية بحتة * وبمعنى آخر أن
تعرف الشعوب تاريخها من الكتب التاريخية العلمية وليس
من الأفلام السينمائية والتمثيلات التاريخية ، حتى يتكون
ضميرها القومي تكوينا صحيحا *

من هنا كان اهتمامي بنشر هذه السلسلة من المقالات
التاريخية في كتاب يحتل مكانة في المكتبة العربية ، وسهل
اقتناؤه ، لعلمي بصعوبة الاطلاع على هذه المقالات متنقلا في
أعداد صحيفة الوفد في محفوظات دار الكتب *

وأملى أن أكون قد أسهمت بنشر هذا الكتاب في تنوير
الرأي العام المصري والعربي بالحقائق التاريخية حتى يعرف
ماضيه وحاضره ويبنى مستقبله على أساس سليم *

والله الموفق ،،

رئيس التحرير

د. عبد العظيم رمضان

- ١ -

كوميديا احالة عبد الناصر الى المعاش !

لم أستطع أن أخفي قلقي من الحملة الدعائية التي جرت لثورة يوليو في كل مجال اعلامي : في الصحف ، وفي التلفزيون ، وفي السينما بمناسبة فيلم « ناصر ٥٦ » حتى لقد قال البعض مازحا انه شعر بانه يعيش في الخمسينيات والستينيات قبل هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، حين كان كل شيء في مصر مسخرا للدعاية للثورة وللمجاهدا ولعظمة قائدها !

وسر قلقي هو أن ما حدث في هذا الصدد هو أمر جديد ، صحيح ان نظامنا السياسي جرى على الاحتفال سنويا بثورة يوليو تحت اعتقاد أنه وريث ثورة يوليو وأنه الامتداد الطبيعي لها ، ولكن ما جرى بمناسبة فيلم « ناصر ١٩٥٦ » فاق كل ما جرى في الأعوام السابقة بكثير .

وهو أمر غريب ، فقد جرى العرف على أن يروج كل نظام

(★) الوفد الموافق ١٢ أغسطس ١٩٩٦ م .

سياسى لنفسه من خلال وسائل الاعلام الناطقة والمرئية والمقروءة ، خصوصا اذا كان يملك معظمها كما هو الحال فى مصر ، ولكن لم تجر العادة على أن يجرى الترويج لنظام أسبق لا تربطه به غير ما ينسبه لنفسه من انه وريث له !

والأمر الأغرب أن يتخطى نظامنا السياسى النظام السابق عليه الى النظام الأسبق ! بمعنى انه بدلا من أن ينسب نظامنا السياسى نفسه الى نظام مايو ، أى نظام السادات السابق عليه ، فانه ينسب نفسه لنظام يوليو ، أى الى النظام الناصرى بالدرجة الأولى ، ويتبرأ تقريبا من انتسابه لنظام السادات ! ، بل انه فى احتفالات أكتوبر ١٩٩٦ كان التليفزيون المصرى يتجاهل بطل حرب أكتوبر وصاحب الفضل فى نصر العبور ، وهو الرئيس الراحل السادات ، ويركز برامجه على بطل هزيمة يونية وصاحب الفضل فى احتلال اسرائيل سيناء وغزة والضفة الغربية والجولان ، وهو الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ! وهو ما استلقت أنظار الكثيرين من أبناء شعبنا ، وكان مشار تعليقات شتى !

وهذا المنطق قد يكون معقولا لو أن نظامنا السياسى يستهدى فى سياسته الداخلية سياسة ثورة يوليو ، أى سياسة جمال عبد الناصر ، أما أن تكون سياسته الداخلية هى انقلاب على سياسة يوليو وعبد الناصر ، فان الأمر يستدعى التأمل ! بل

انه حين تكون سياسة عبد الناصر هي انشاء القطاع العام وتكون سياسة نظامنا السياسى هي بيع القطاع العام ! وحين تكون سياسة عبد الناصر هي تحرير الاقتصاد المصرى من اليد الأجنبية ، وتكون سياسة نظامنا السياسى هي دعوة المستثمرين الأجانب لشراء الاقتصاد المصرى - أقصد دعائم الاقتصاد المصرى ، وهو القطاع العام - فان الأمر يدعو الى أن نضرب كفا على كف ونحن نرى نظامنا السياسى يمجّد ثورة يوليو كما لو كان يسير على صراطها المستقيم !

وكثيرون يرون أن السر فى مبالغة نظامنا السياسى فى الاحتفال بذكرى ثورة يوليو لا صلة له لا بالسياسة الداخلية ولا بالسياسة الخارجية ، وانما السر هو التمسك بنظام الحكم الذى أرسّته ثورة يوليو ، والذى يلغى من الناحية الفعلية أية مجالس تمثيلية ويحيلها الى تنظيمات صورية ، ويجعل السلطة مركزة فى يد رئيس الدولة ، ويجعل النظام ممثلاً فى شخصه على نحو ما كان نظام عبد الناصر ممثلاً فى شخص عبد الناصر ، ونظام السادات ممثلاً فى شخص السادات !

وهذا الكلام قابل للجدل ، ولكن الشئ المؤكد هو أن نظام مبارك ليس فى حاجة الى الانتساب الى ثورة يوليو أو أية ثورة ، فله سماته وخصائصه ومميزاته التى تجعل منه نظاماً

مستقلاً قائماً بذاته ليس له شبيه فيما سبقه من أنظمة سياسية ،
وانجازاته في السياستين الداخلية والخارجية تجعل منه نظاماً
متفرداً تماماً •

وفي كل الأحوال فمن المحقق أن موقف شعبنا من ثورة
يوليو قد أكدته الانتخابات الأخيرة عندما سقط رئيس الحزب
الناصرى وسقط جميع مرشحيه ، ولم ينجح منهم سوى فرد
واحد ، لا بسبب مبادئه الناصرية وإنما بسبب عصبية ! فهذا
النائب الناصرى الواحد هو شاهد يحى على اتجاهات شعبنا
السياسية بازاء ثورة يوليو رغم الجلبة والضوضاء التى يحدثها
الناصريون فى صحفهم وفى وسائل الاعلام والتى يحاولون
بها خداع شعبنا وتزوير تاريخه •

وقد كان شعبنا هو الذى صاغ عبارة ان الكذب ليس
له قدمان ، ولكن الناصريين ينسون هذه الحكمة • ومن هنا
فقد ضحك الكثيرون الذين شاهدوا فيلم ناصر ٥٦ عندما ظهر
عبد الناصر فى أحد المشاهد وهو يقول للسيدة حرمة انه ينتظر
حتى يحال الى المعاش ثم يقوم برحلة ترفيهية معها ومع الأولاد
تعوضهم عن المعاناة التى شهدوها ! أثناء الحكم ! ولست أدري
حقيقة هل كانت هذه الكوميديا فى هذا الفيلم التسجيلى
مستقاة من نص تاريخى أو وثيقة ؟ أو انها كانت من محض خيال

كاتب الفيلم محفوظ عبد الرحمن ؟ وقد أراد بها تقريب عبد الناصر الى قلوب أفراد الشعب العاديين الكادحين الذين ينتظرون الخروج على المعاش للترويح عن أنفسهم ؟ انه اذا كانت هذه العبارة مستقاة من نص تاريخى أو وثيقة فأغلب الظن ان هذا النص أو تلك الوثيقة مزورة ، أما اذا كانت من محض خيال كاتب السيناريو محفوظ عبد الرحمن فلاشك انها أتت بعكس المقصود منها تماما ، لانها أبرزت على الفور حقيقة شخصية عبد الناصر التى تريد العبارة السالفة الذكر تزويقها بسذاجة ، اذ لم يصدق أحد من المشاهدين ان عبد الناصر ذلك الدكتاتور الذى تخلص من منافسيه على الحكم بكل الطرق ، وكنل بمعارضيه ، هو مجرد موظف فى الدولة يحال الى المعاش كما يحال الموظفون العاديون !

وفضلا عن ذلك فان نظام الحكم نفسه الذى أسسه عبد الناصر ليس فيه هذا الاختراع الغريب الذى يستهين بذكاء الجماهير فى فيلم ناصر ٥٦ ، وهو خروج رئيس الدولة على المعاش !

ف رئيس الدولة وفقا للدستور ينتخب باستفتاء عام ويستمر فى منصبه حتى موعد الاستفتاء التالى ، فيتقدم لترشيح نفسه ويبقى فى منصبه حتى موعد الاستفتاء التالى ، وهكذا . وفى ظل النظام الدكتاتورى الذى فرضه عبد الناصر فان هذا

الاستفتاء كان استفتاء سوريا ، محددة النتائج فيه مقدما
 بالتسعات الخمس الشهيرة أى ٩٩٩٩٩ فى المائة فتمت - اذن -
 كان عبد الناصر يتخيل أحالته الى المعاش ؟ ان احترام عقل
 الجمهور كان ممكنا أن يجنب عبد الناصر كل التعليقات الساخرة
 التى ثارت عند سماع المشاهدين تلك العبارة ، ولكن العبارة
 نكأت دمل دكتاتورية الثورة ، وكشفت ممارساتها نحو الخصوم
 السياسيين وضد كل من كان يعترض طريق عبد الناصر
 أو يشكل منافسة له عند الجماهير •

فلقد كان أمام عبد الناصر فرصة حقيقية لاحالة نفسه
 الى المعاش بعد هزيمة يونيه ١٩٦٧ وتنفيذ رحلته إترفيهية من
 عناء الحكم مع قرينته ومع أولاده ، ولكن بعد مسرحية خطاب
 الاستفتاء الشهير عاد عبد الناصر الى الحكم أكثر قوة ! وبدلا
 من أن يحيل نفسه الى المعاش ، أحال خصمه الأساسى ومنافسه
 الأوحده ، وهو المشير عبد الحكيم عامر الى الدار الآخرة !

ويروى السيد أمين هويدى الذى كان يشغل منصب وزير
 الحرية فى ذلك الحين ، كيف عمل عبد الناصر على اعتقال
 المشير عبد الحكيم عامر ووضعه تحت تصرفه حتى تم اغتياله
 بطريقة خفية فى استراحة المريوطية التى نقل اليها بأمر عبد الناصر
 المباشر يوم ١٣ سبتمبر ١٩٦٧ ، ليلقى حتفه فى اليوم التالى
 مباشرة !

ووفقا لرواية السيد أمين هويدي ، فقد بدأت عملية اعتقال المشير عندما أصدر الرئيس جمال عبد الناصر تعليماته الى كل من شعراوي جمعة وزير الداخلية وسامي شرف سكرتير الرئيس للمعلومات وأمين هويدي وزير الحربية بوضع خطة لتحديد اقامة المشير ، ولكن هذه الخطة لم تكن خطة سهلة ، بل كانت ذات حساسية بالغة ، نظرا لأن كثيرا من الأجهزة مثل القوات المسلحة والمخابرات العامة - وفقا لكلام أمين هويدي - كانت « متعاطفة تماما مع المشير » .

وقد اطلق على عملية اعتقال المشير عامر اسما كوديا هو « عملية جونسون » ! وجرّت الاجتماعات لتخطيطها ليلا في « نادي الشمس » بمصر الجديدة ، وقد استبدلت بها خطة أخرى بنفس الاسم حتى يسكن تنفيذها قبل عقد مؤتمر الخرطوم « مؤتمر اللاءات » في يوم ٢٩ أغسطس ١٩٦٧ « خشية قيام الجيش بانقلاب أثناء وجود عبد الناصر في الخرطوم ! » .

وكانت الخطة على النحو الآتي : يستدعى المشير الى منزل الرئيس في منشية البكري ليلا ، لأي سبب يراه الرئيس . وفي نفس الوقت تتجه قوة من القوات المسلحة الى منزل المشير بالجزيرة لحصاره والقبض على من فيه ، على أن يتم ذلك قبل أول ضوء في اليوم التالي . ثم تحدد اقامة المشير في منزله

بالجيزة مؤقتا الى حين نقله الى مكان أمين * ثم تبدأ عملية أخرى فى اليوم التالى لعملية اعتقال المشير للسيطرة على جهاز المخابرات العامة ، الذى ظهر أن رئيسه « صلاح نصر » وبعض قاداته الى جانب المشير !

ويقول أمين هويدى ، وقد تولى رئاسة المخابرات بعد صلاح نصر ، ان الرئيس جمال عبد الناصر وافق على خطة « عملية جونسون » وحدد موعد اللقاء مع المشير فى الساعة السابعة يوم ٢٥ أغسطس ١٩٦٧ ، وأنه هو الذى اتصل بنفسه بالمشير عامر يوم ٢٤ أغسطس ١٩٦٧ ودعاه للاجتماع فى المنزل ! *

وقد وافق المشير على الدعوة مرحبا حيث كان فى انتظاره فريق الاعتقال المكون من شعراوى جمعة وأمين هويدى والفريق محمد فوزى وسامى شرف ومحمد صادق مدير المخابرات الحربية وسعد عبد الكريم قائد الشرطة العسكرية * وكان الرئيس عبد الناصر قد قرر أن يحضر واقعة اعتقال المشير فى بيته كل من زكريا محبى الدين وحسين الشافعى وأنور السادات !

ويقول أمين هويدى انه سمع بأذنيه الحوار الذى دار بين عبد الناصر والمشير عامر بحضور السادات وحسين الشافعى وزكريا محبى الدين * فلم يكذ المشير يسمع عبد الناصر ينصحه بأن يلزم بيته ، حتى صاح فيه : « يعنى بتحدد اقامتى وبتحطنى

تحت التحفظ ؟ قطع لسانك ! » • وكان المشير ثابت الجنان
ولم يضعف ! •

والمهم هو انه بعد عودة عبد الناصر من مؤتمر الخرطوم •
وبعد أقل من شهر واحد - أى فى يوم ١٣ سبتمبر ١٩٦٧ -
كان عبد الناصر يأمر بنقل المشير عامر من منزله الى استراحة
المريوطية ، حيث جرى الاجهاز عليه فى اليوم التالى
مباشرة - أى يوم ١٤ سبتمبر - وأعلن للجمهور المصرى ان
المشير اتحر !

وفى هذا الضوء فان دراسة شخصية عبد الناصر كانت
تقتضى من مؤلف ومنتجى فيلم ناصر ٥٦ تقديم صورة تقترب من
الواقع بدلا من اللجوء الى هذا الأسلوب الساذج ومحاولة
خدمة الرجل عن طريق تصويره فى صورة من يصبو الى الاحالة
الى المعاش لكى يستريح من غناء الحكم ! وهى الصورة التى
قلبت المواجع ، وذكرت المشاهدين بالصورة الحقيقية التى لم
تكن خافية عن الشعب المصرى أبدا ، صورة عبد الناصر
الزعيم الدكتاتور الذى يحكم بالحديد والنار ولا يفرط فى
منصب رئيس الجمهورية حتى لو أنزل بالبلاد كارثة مثل كارثة
هزيمة يونية ١٩٦٧ !

- ٢ (٢) -

اعلى آخر من يعترض على تجاوزات الأفلام التاريخية للحقائق التاريخية ، بعد ما سمعته بأذن من الروائي الايطالي الكبير البرتو مورافيا من حق الروائي في أن يحرف في الأحداث التاريخية كما يشاء اذا اقتضت ذلك الحكمة الفنية *

ومن هنا فان ما أكتبه هنا عن فيلم : « ناصر ١٩٥٦ » ليس نقدا للفيلم بقدر ما هو تصحيح للوقائع التاريخية التي اشتمل عليها ، حتى لا تقع الجماهير فريسة لصورة تجميلية للشخصية التاريخية التي يدور حولها الفيلم ، أملتها عادة عبادة الأبطال، التي تسود المجتمعات النامية ، والتي كانت ضرورة في وقت نضالها من أجل الحرية ، ثم فقدت مبرر وجودها في المراحل التالية التي تتطلب مراجعة للنفس واعادة تقييم الماضي بشخصه وأحداثه *

(★) الوفد الموافق الائنس ١٩٩٥/٨/٢١ .

وبداية فان الفيلم من الناحية الفنية يعد عملا طيبا يحسب
لقطاع الانتاج باتحاد الاذاعة والتلفزيون ورئيسه ممدوح
الليثي ، تألق فيه الممثل الكبير أحمد زكي وأضاف به الى
رصيده الفني الزاخر الشيء الكثير ، كما أخرجه باقتدار مخرج
من أكبر مخرجينا وهو محمد فاضل ، وألف قصته مؤلف
عاشق للتاريخ وهو محفوظ عبد الرحمن ، واجتمعت فيه كفاءات
غنية هامة مثل مهندس الديكور نبيل سليم ، الذي أعاد لنا
ميدان المنشية بالاسكندرية الى الوجود بعد أن هدمت يد
التخريب والقوضى مبنى تاريخيا هاما هو مبنى البورصة ،
بدلا من تجديده كما تفعل الدول المتقدمة في العصر الحاضر !

والفيلم يعد خطبة بليغة وحماسيه عن أحداث تأميم قناة
السويس ، كان لها ما يبررها في حينها ولكنها أصبحت قابلة
للمراجعة بعد انتهاء ظروفها وظهور الحقائق حولها . وقد
جعلنا المؤلف والمخرج نعيش الأحداث كما رأتها الجماهير عند
وقوعها وليس كما اتضحت حقائقها فيما بعد ! وهو نوع من
أنواع تغييب الوعي يعد رجعة الى الوراء بعد مرحلة « عودة
الوعي » !

فمن الأفضل للجماهير دائما أن تعرف أبطالها كبشر يخطئون
ويصيبون ، وليسوا كملائكة فوق مستوى البشر ! وهو ما فعله

الفيلم ، الذى صور عبد الناصر فى صورة انسانية رقيقة لم تعرفها ممارساته السياسية مع خصومه السياسيين !

وعلى سبيل المثال فان معاملته للواء محمد نجيب ، أول رئيس للجمهورية فى مصر ، لم تتسم بشيء من الانسانية ، حلم يكن محمد نجيب مما يخشى خطره بعد انقلاب الضباط عليه ! ولم تكن وراءه جماهير يعتمد عليها فى العودة الى الحكم ، وكان من الممكن أن يقدر عبد الناصر دوره فى نجاح الثورة ، ويعرف انه بدون قيادة محمد نجيب للثورة كان مستحيلا نجاحها ، وبالتالي يعامله معاملة كريمة كما فعل الرئيس زين العابدين فى تونس مع الرئيس السابق حبيب بورقيبة ، ولكنه نكل به تكيلا بدون أى مبرر ، وشرذ أبنائه واعتقلهم ، وانهى الأمر بأحد أبنائه الى العمل كسائق تاكسى ! وكل ذلك أهانة لتاريخ مصر واهانة لمصر !

كذلك كان عبد الناصر يعرف ما يدور فى معتقلاته وسجونته من ارهاب وتعذيب لمخالفيه فى رأى من اليساريين ممن لم يحملوا ضده سلاحا ، بل كانوا يؤيدون خطواته وبياركونها ولكنهم يختلفون معه فى الوسيلة ، ومع ذلك لم يتدخل لمنع هذا التعذيب ، وسمح للجلادين أن يقتلوا شهدى عطية الشافعى فى المعتقل ضربا بالهراوات !

كذلك كان تعامله مع مشيى جنازة مصطفى النحاس تعاملًا قاسيًا لا يرحم ، ولم يقدر أبدا مغزى خروج المصريين لتشييع جنازة الزعيم الذى قاد نضالهم على مدى ربع قرن ، وارتباطه بأصالة المصريين ووفائهم للرجل فى أصعب الظروف ، فعاقبهم بدون مبرر بعد أن وورى جسد الزعيم التراب •

ومن هنا فإن الصورة الانسانية الرقيقة التى رسمها الفيلم كانت تحوى من الرومانسية ما يتجاهل الواقع ، الذى قد يكون فرض نفسه على عبد الناصر ، أو اختاره طواعية ، ولكنه يجب أن يكون مستقرا فى ضمير الجماهير عندما تحكم على الزعيم •

ولم يكتف الفيلم برسم صور رومانسية لعبد الناصر ، بل بالغ فيها الى حد يدعو الى الرثاء ! ومن ذلك ما ذكرناه من حوار فى الفيلم بين عبد الناصر والسيدة قرينته أبدى فيه عبد الناصر أمنيته فى أنه « بعد حالته الى المعاش » ! وبعد أن يكبر الأولاد سيصبح قرينته الى الخارج لتجوب معه العالم !

وهذا الكلام فيه استهانة بعقل المشاهدين ، لأن عبد الناصر لم يكن موظفا فى الحكومة ممن يحالون الى المعاش ، وانما كان رئيس دولة استولى على الحكم بالقوة ، وطرد ملك البلاد ، ثم طرد رئيس الجمهورية الذى خلفه فى رئاسة الدولة ، وصفى

الأحزاب القديمة وصاحب ممتلكاتها ، وحدد إقامة زعيم الأمة الذي قاد نضالها على مدى ربع قرن في بيته ، وزج بخصومه السياسيين في المعتقلات والسجون وعلى رأسهم سكرتير عام الوفد فؤاد سراج الدين ، ونصب لهم محاكمات صورية ظالمة ، واستند في حكمه الى قوة الجيش !

هذا على كل حال فيما يتصل بالجانب الشخصي في حياة عبد الناصر الذي رسمه الفيلم - كما قلت - في شاعرية بعيدة عن الواقع . أما الجانب السياسي المتصل بتأميم شركة قناة السويس ، فلم يستطع الفيلم أن يخفي حقيقة أن فكرة تأميم الشركة وتنفيذها كان عملاً فردياً محضاً هو عمل عبد الناصر وحده ، دون أى شريك من حكومة أو غيرها .

وهو ما ليس له مثيل في أى نظام سياسى ، خصوصاً في قرارات خطيرة يمكن أن تعرض مستقبل البلاد للخطر مثل تأميم شركة قناة السويس ، فقد ألغى عبد الناصر الحكومة المصرية من حساباته تماماً كما لو كانت حكومة دولة أخرى ! ولم تشهد وزيراً استدعاه عبد الناصر للمشاورة معه في الفكرة ، ولم تشهد اجتماعاً لمجلس الوزراء لطرح الفكرة عليه ودراستها .

وفي الحقيقة أن حكومة مصر لم تعرف بقرار تأميم شركة قناة السويس الا قبل اعلان عبد الناصر عنه في خطبته

بالاسكندرية بساعتين فقط ! ولم يكن اجتماعا للحكومة كلها
وانما كان اجتماعا لعدد محدود ! كما أنه لم يكن اجتماعا للأخذ
الرأى وانما للاحاطة^٢ فقد قال عبد الناصر فى اقتضاب : « اتنى
دعوتكم لكى أبلغكم بقرار سوف أعلنه فى خطابى الليلة ،
هذا القرار هو تأمين قناة السويس »^١

أما الجيش ، فقد أخفى عنه عبد الناصر الخبر أيضا !
فقد كان يعرف باعتراض عبد الحكيم عامر على فكرة التأمين^٣
وعلى حد قول عبد اللطيف البغدادي فان عبد الناصر اتصل
بعبد الحكيم عامر الذى كان بالاسكندرية ، وأبلغه « بالاتجاه »
الى تأمين القناة ، ولكنه - أى عبد الحكيم - كان يرى
« أن نعمل بالضغط على الشركة حتى نزيد من نسبة حصتنا من
دخلها السنوى » . ولكن « لم يكن لدينا الوسيلة لارغامها
على تنفيذ ما يقترحه ، كما أن ردها على ذلك كان معلوما لدينا
من العام الماضى » .

لذلك أبقى عبد الناصر خبر قراره بتأمين شركة القناة خافيا
عن عبد الحكيم عامر حتى اللحظة الأخيرة ! فقد أبلغه عبد الناصر
به وهما فى طريقهما الى الاسكندرية بالقطار لكى يلتقى
عبد الناصر خطبة التأمين ! ويروى صلاح نصر أن المشير عامر
قال لعبد الناصر انه كان ينبغى عليه أن يبلغه أولا قبل اتخاذ

هذا القرار السياسى ، لأنه قائد عام القوات المسلحة ، « وينبغى أن تستشيرنى لتعرف ما إذا كانت القوات المسلحة قادرة على حماية هذا القرار » ! وقد ثبت فيما بعد أن القوات المسلحة المصرية لم تكن قادرة على حماية القرار كما سئرى .

بل من الغريب أن المهندس محمود يونس ، الذى كلفه عبد الناصر بمسئولية الاستيلاء على منشآت شركة القناة والعمل على ادارتها بعد اعلان قرار التأميم ، لم يعرف بقرار عبد الناصر الا يوم ٢٤ يوليو ١٩٥٦ - أى قبل اعلان عبد الناصر قراره بيومين فقط . ولولا كفاءة محمود يونس وزملائه لما أمكن لهم أداء ذلك العمل الهائل فى يومين فقط !

وفى الوقت نفسه لم يعد مشروع قانون التأميم الا يوم ٢٥ يوليو ، أى قبل اعلانه بيوم واحد ، ولم تكن الحكومة تعلم به ! وعلى حد قول البغدادى : « لم يكن الوزراء المدينون يعلمون بهذا القرار الا بعد ظهر يوم ٢٦ يوليو بعد أن وصلنا الى الاسكندرية » وقد علموا به بعد أن استدعاهم جمال الى منزله ، وقبل أن تتوجه منه مباشرة الى ميدان المنشية الذى كان جمال سيلقى منه خطابه » !

وقد اختار عبد الناصر أن يعلن القرار فى شكل تحد للغرب وليس فى شكل أنه حق من حقوق مصر المطلقة . فأتاح بذلك

للغرب الرد عليه بالطريقة التي يملكها وهي الحرب ! وكان فتحى رضوان ، رغم أنه من غلاة الحزب الوطنى القديم الداعين الى التأميم ، هو الذى نبه عبد الناصر الى ذلك عندما سمع به يبلغ الوزراء بهذا القرار الخطير . فقد قال له :

« أنا فاهم من كلام سيادتكم لنا ، أنك تنوى أن تقول انك أمت قناة السويس ردا على كلام دالاس واهاتيه لنا ، وأعتدائه على سمعة اقتصادنا . ان ربط الأمريين معا له معنيان ، وكلاهما سيء ، فاعلاننا بأننا أمننا شركة قناة السويس الآن دول الغرب سيجت تمويلها للسد العالى ، فيه اضعاف لحقنا فى التأميم ، فقناة السويس مرفق مصرى ، وشركة قناة السويس هي شركة مصرية ، وخاضعة للقانون المصرى ، وعلى ذلك فحقنا فى تأميم الشركة واخضاع المرفق للادارة المصرية المباشرة ، انما هي من حقوقنا المطلقة . أما تصريحنا بأننا نؤمم قناة السويس ردا على أمريكا وانجلترا وفرنسا ، فمعناه أننا نتخذ من قناة السويس ، التى تخدم الملاحة والتجارة الدولية ، وسيلة لعقاب وتأديب الدول التى نختلف معها ! وهذا يتيح لدول الأعداء أن يتخذوا من هذا الاعلان مادة للتشهير بنا ، وتخويف العالم من ادارتنا لقناة السويس التى تتأثر بنوازعنا ، وربما بنزواتنا القومية » !

ويقول فتحى رضوان انه عند هذا الحد كان صبر عبد الناصر قد نفذ ! وخيل اليه أنني أريد أن أملى عليه اتجاهها

معينا ، فقام وهو يلوح بذراعيه مسرعا تجاه دورة المياه
وهو يقول : « أنا عارف ماذا سأقول !

على هذا النحو كان فرار نأميهم شركة قناة السويس
عملا فرديا بحثا اتخذهُ رئيس الدولة على مسئوليته الخاصة ،
دون أن تعلم به حكومته ، ودون أن يعلم به قائد عام الجيش ،
ودون أن يعلم به المنفذون الا قبل يومين فقط ، ودون أى
استعداد عسكري لمواجهة أى عدوان على الأراضى ، بكل
ما يمثله ذلك من خطر الغاء استقلال مصر ، وعودتها الى الاحتلال
البريطانى الذى كانت قد تخلصت منه قبل سنة واحدة فقط .
بنضال شعبى مرير استمر سبعين عاما !

- ٣ -

قلت في مقالتي السابق أن فيلم « ناصر ١٩٥٦ » يعد خطية حماسية بليغة رسمت صورة تجميلية للرئيس الراحل عبد الناصر من جهة ، كما رسمت صورة تجميلية للحدث من جهة أخرى ! فلم يشاهد المتفرج منه إلا عملية اتخاذ القرار ، الذي رأينا أنه كان قرارا فرديا اتخذه رئيس الدولة دون أن يشرك فيه حكومته أو قائد عام جيشه ، ثم انقطع الفيلم فجأة عندما بدأت مصر تدفع ثمن القرار ! ، فقد انتهى بمشهد عبد الناصر وهو يصعد إلى سطح بيته ليرى طائرات إنجلترا تغير على مصر !

وأهمية هذا المشهد أنه يوضح أن جميع حسابات عبد الناصر التي بنى عليها اعلان قرار تأمين شركة قناة السويس كانت خاطئة . وهي الحسابات التي جعلته يهمل استشارة حكومته ، كما جعلته يخفي خبر القرار عن قائد عام جيشه !

(*) الرائد المرافق الاثنين ١٩٩٥/٨/٢٨

ففى ذلك الحين كان تقدير عبد الناصر للموقف المترتب على اعلانه قرار تأميم شركة قناة السويس ، يستبعد تماما استخدام الغرب للقوة معه وشنه حربا على مصر . فقد استبعد قيام فرنسا بشن حرب ضده تحت وهم انشغالها بمعركتها فى الجزائر ، واستبعد قيام انجلترا بحرب ضد مصر ، متصورا أن حرصها على مصالحها فى العالم العربى سوف يمنعها من القيام بأى اعتداء ، أما الولايات المتحدة فقد رأى أنه ليست لها مصلحة فى قيام مثل هذه الحرب !

أما اسرائيل ، فقد استبعد اشتراكها فى عملية عسكرية ضد مصر. أيضا ! والطريف أنه اعتمد فى هذا الاعتقاد على أن انجلترا هى التى سوف تمنعها من العدوان ! وفى ذلك يذكر محمد حسنين هيكى أنه عندما تعرض عبد الناصر لاحتلال اشتراك اسرائيل ، انتهى الى استبعاده على أساس أن « ايدن لن يقبل ! وأن اسرائيل قد تحاول ولكن ايدن لن يقبل » !

والأغرب من ذلك أن عبد الناصر ظل على هذا الاعتقاد حتى بعد أن بدأت اسرائيل هجومها على مصر بعد ظهر يوم الإثنين ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ ! فقد افترض أن اسرائيل تستغل الموقف لتحقيق هدف عدوانى معين ! بل انه استبعد أيضا اشتراك فرنسا وانجلترا فى عدوان على مصر حتى بعد أن أصدرت الدولتان اذارهما الشهير الذى يطالب الفريقين المتحاربين -

مصر واسرائيل - بايقاف القتال وسحب قواتهما بعيدا عن قناة السويس بمسافة عشرة أميال على كل من جانبا ، متوهما أن غرضهما اعطاء اسرائيل حق احتلال سيناء من أول غزة حتى عشرة أميال من الضفة الشرقية للقناة !

فعند مناقشة هذا الانذار في مجلس الوزراء ، لاحظ عبد اللطيف البغدادي أن عبد الناصر لم يأخذه مأخذ الجد ! ففد كان يعتقد أن الغرض منه أن تحتفظ مصر بالجزء الأكبر من قواتها دون تحريكها الى أرض المعركة في سيناء ، لكي تعطى الدولتان لاسرائيل الفرصة لتحقيق النصر !

بل انه في اليوم التالي للانذار - الاربعاء ٣١ اكتوبر سنة ١٩٥٦ - ظل عبد الناصر على رأيه في استبعاد تدخل انجلترا وفرنسا بقواتهما العسكرية ! فيقول عبد اللطيف البغدادي انه ذهب الى القيادة العسكرية ، ثم حضر زكريا محيي الدين وكمال الدين حسين وجمال عبد الناصر ، وأخذوا في بحث الموقف العسكري ، وعندما أبدوا تخوفهم من احتمال انزال الانجليز والفرنسيين لقواتهما في منطقة القناة وعزل القوات المصرية الموجودة في سيناء ، استبعد جمال عبد الناصر هذا الاحتمال !

وفي الواقع أنه لم يقتنع الا بعد أن قام سلاح الطيران البريطاني بغارته على القاهرة في الساعة مساء ٣١ أكتوبر ،

والا بعد أن تبين من المعارك الجوية في سماء سيناء أن عدد طائرات الميستير الفرنسية المشتركة في المعركة كان أكبر بكثير مما لدى السلاح الجوي الاسرائيلي *

وهذا يدل على مدى سوء تقدير عبد الناصر لردود فعل الغرب واسرائيل لقرار تأمين قناة السويس . فلم يصدق اشتراك اسرائيل الا بعد أن أصبحت قواتها في قلب سيناء ! ولم يصدق اشتراك انجلترا الا بعد أن أصبح سلاح طيرانها فوق القاهرة ، ولم يصدق اشتراك فرنسا الا بعد أن أصبحت طائرات الميستير الفرنسية فوق سيناء !

ومعنى ذلك أن قرار تأمين شركة قناة السويس قد أقيم على حسابات خاطئة من صاحب القرار ، ولم يقيم على حسابات صحيحة . ويرجع ذلك لانفراد عبد الناصر باتخاذ القرار *

وخطورة هذا القرار لا ترجع الى اتحاده ، فقد كان الهدف وطنيا من الدرجة الأولى ، وانما ترجع الى أن عبد الناصر اتخذه ومصر غير مستعدة للحرب ، وهو ما يعرض استقلالها للخطر ، ويعيد مصر مرة أخرى الى الاحتلال البريطاني مضافا اليه الاحتلال الفرنسي والاحتلال الاسرائيلي !

فلم يكن عمر التسليح الحديث للجيش المصري ، عندما اتخذ عبد الناصر قراره بتأمين شركة قناة السويس ، يزيد على

تسعة أشهر فقط ! ولم يكن قد تم استيعابه استيعابا كاملا . وفي الوقت نفسه ، وبسبب استبعاد عبد الناصر قيام إسرائيل بعملية عسكرية فى سيناء ، تم سحب القوات المصرية من سيناء (حوالى ٣٠ ألفا) لتعزيز دفاعات القناة ومداخل القاهرة والاسكندرية ، ولتتبع اعاقا الملاحة الدولية بما يعطى فرصة للتدخل العسكرى ضد مصر !

وهكذا أدى سوء تقدير عبد الناصر للموقف الى أنه عندما تعرضت مصر للعدوان الثلاثى ، كانت أبعد ما تكون عن الاستعداد لهذا العدوان ، لا من حيث التسليح ، ولا من حيث حشد ما لديها من امكانيات عسكرية فى المواطن التى يأتى منها الخطر - أى على الحدود المصرية الاسرائيلية أو فى قلب سيناء . ومن هنا كان الثمن الذى دفعته مصر فادحا !

فعلى الرغم من الشحنات الروسية ، الا أن كل ما كان يستخدمه الجيش من الدبابات لم يكن يزيد على خمسين دبابة من بين مائتى دبابة روسية جديدة ! ومن بين مائة طائرة من طراز ميج ، لم يكن معدا للتشغيل غير حوالى ثلاثين طائرة ! أما القاذفات الأليوشن ، فقد كان المستخدم منها اثنتا عشرة طائرة من بين خمسين قاذفة ! وكان معظم الطيارين وأطقم الدبابات ما يزالون فى الاتحاد السوفيتى يتدربون على استخدامها فى مدارس التدريب !

ومن هنا كان سلاح الطيران المصري الجديد هدفا أكيدا لطائرات « الكانبيرا » البريطانية ، فلم ينج من الثلاثين طائرة الأليوشن ، التي نجحت في الفرار إلى الأقصر ، سوى اثنتى عشرة طائرة تمكنت من مواصلة الطيران إلى السعودية • أما الشامي عشرة طائرة الأخرى ، فقد هاجمتها ودمرتها غارات جوية بريطانية أخرى على مصر العليا • وكانت سماء مصر مستباحة لحوال أيام التدخل العسكري البريطاني الفرنسي ، وقد اشتدت بالذات على القاهرة يوم السبت ٣ نوفمبر ١٩٥٦ •

والغريب أن عبد الناصر كان هو الوحيد في العالم اجتمع الذي دان بسبب الحرب كرد فعل لقرار تأميم قناة السويس ؛ فيقول هيل انه عندما ابلى الوزراء بالنبا ، اضطرب السديرون منهم من خطر ما هو مقدم عليه ، وأثار أحد الوزراء احنمال استخدام بريطانيا لاسرائيل فى شن غارة على مصر ، ودان جوابه إن ذلك صعب ، الآن من شأنه الفضاء على مركز بريطانيا فى الشرق الأوسط ؛ وقد سئل كذلك عن احتمال التدخل الفرنسى ، وكان جوابه ان الفرنسيين منشغلون تماما فى الجزائر ، وأنه اذا كان البريطانيون فى حاجة الى شهرين لاعداد الغزو ، فان ذلك يعنى أن الفرنسيين يحتاجون الى المهلة ذاتها • وعلى ذلك ترك الوزراء الأمر كله لعبد الناصر •

وواضح أن الجميع كانوا يدركون حجم الخطر المترتب على

تأميم شركة القناة ، ولكنهم كانوا يدركون عجزهم عن تغيير هذا القرار . فكما يقول سيد مرعى : « دوى الخبر فى قاعه الاجتماع كآثر من قبله ، بدأ بعده صمتنا جميعا مهيبا ومسيطرا ، والتفت الى جمال عبد الناصر وسألنى : انت مبلم ليه يا سيد لا فى تلك اللحظة لم يفتح الله على برد سوى تلك الكلمات : « يا سياده الرئيس ، ان القرار الذى اتخذه هو حلم كل مصرى ، ولكن هذا القرار معناه فى نفس الوقت أننا سندخل فى حرب مباشرة مع بريطانيا وفرنسا والغرب كله » . وتأمل الرئيس جمال عبد الناصر لحظة ، متجولا بعينه بين عبد الحكيم عامر وبينى ، ثم رد على الفور قائلا : « أنا ما طلبتش منك ألك تحارب ، لو حصلت حرب ، فاللى حايجارب هو عبد الحكيم عامر ، مش أنت » !

بل ان الدكتور مصطفى الحفناوى ، الذى طالب بتأميم قناة السويس منذ نوفمبر ١٩٥٢ فى محاضرة ألقاها بنادى ضباط الجيش ، أصيب بالهلع عندما استدعاه عبد الناصر يوم ٢٤ يوليو من عزبته قريبا من الاسكندرية ، ليصارحه بفكرته ويطلب منه المساهمة فى اعداد مشروع التأميم ، فقد طلب من عبد الناصر تأجيل التنفيذ عدة أشهر لتهيئة الراى العام ، قائلا له : « انى أكاد أسمع بأذنى أزيز الطائرات التى ستهجم علينا » !

لقد كان واضحا للجميع - فيما عدا عبد الناصر ! - أن

قرار التأمين معناه الحرب • ولذلك عندما عرف نهرو بتأمين عبد الناصر لشركة القناة ، فوجيء — كما يقول هيكل — وظهر ذعره من خلال رسالة بعث بها الى عبد الناصر ، وكانت الرسالة عبارة عن نصفين : فى النصف الأول قال نهرو ما معناه : لماذا فعلت ذلك ؟ وفى النصف الثانى قال ما معناه : ما الذى يمكن أن تفعله بعد ذلك ؟ • ثم بدأ نهرو يتحرك بسرعة من أجل عبد الناصر •

وعلى ذلك فان الصورة التى رسمها فيلم « ناصر ١٩٥٦ » لعبد الناصر وهو يخذ قرار تأمين شركة قناة السويس كانت صورة مزيفة ! لقد رسمها لبطل يستوعب كافة جوانب القرار المصرى الذى اتخذه ، ويفرضه على العالم ! وأغفل الجانب السلبى لرئيس دولة يتخذ أخطر القرارات منفردا معتمدا على حساباته الخاطئة ، فيعرض مستقبل أمته للخطر • وهو ما حدث تماما ، فلم تخسر مصر جيشها فقط ، بل أعطى القرار لدولة صغيرة مثل اسرائيل الفرصة لاحتلال جزء من أرض مصر ، وهو ما لم تكن تحلم به فى حياتها ، وخلق من ذلك القزم الذى كانت مصر تحاصره وتمنع استخدامه ممراتها المائية فى قناة السويس ومضايق تيران ، ماردا كبيرا احتل أراضى ثلاث بلاد عربية ، وجثم على صدر الأمة العربية !



- ٤ (*) -

تبين لنا من المقالين السابقين كيف أن حسابات عبد الناصر وهو ينحد قرار ناميم شرده قناة السويس كانت خاطئه تماما ، ومع ذلك تحمل مسئولية اتخاذ هذا القرار على عاتقه وأخفاه عن حكومته وفائد جيشه ! لقد كان التقدير السليم للأمور يتطلب من عبد الناصر أن يعرف أن كلا من إنجلترا وفرنسا لن تسمحا بمرور قرار ناميم شركة قناة السويس دون عقاب ، لأن ذلك يعنى تشجيع كل دولة صغيرة على الوقوف في وجه كل دولة تمارس عليها السيطرة الامبريالية ، ومعناه أن يصبح من حق كل دولة صغيرة أن تسيطر على مواردها ومصادر ثرواتها بقرار منفرد ، ومعناه كذلك أن تسيطر كل دولة صغيرة على مواقعها الاستراتيجية التي تخصها مهما كانت ذات صفة عالمية ، ومعناه أيضا قيام ثورة عالمية ضد الاستعمار في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية . وهو ما حدث بالفعل عندما فشلت كل من إنجلترا

(★) الوفد الموافق الاثنى ١٩٩٥/١/٤ .

وفرنسا في عملياتهما العسكرية بسبب الظروف العالمية التي
أهدت مصر - وسوف تتعرض لها في حينها *

أما بالنسبة لإسرائيل ، فلم يستطع عبد الناصر أن يدرك
الوضع الياس الذي دانت نعائيه بسبب الحصار المصري
المفروض عليها في البحر الأحمر ، والذي كان يدفعها إلى المغامرة
بأي شيء في سبيل إنهاء هذا الحصار ، لأن هذا الحصار
كان يحرّمها من الاستناد بمزايا موقعها على بحرين ، ويفتح
الصلة بينها وبين الدول الآسيوية والأفريقية ، ويفتح الواردات
عنها عموماً ، والبرول الأيراني خصوصاً ، ويجبرها على شراء
حاجتها من البنزول من الأسواق البعيدة بأسعار عالية ، كما
يمنع إسرائيل من إقامة علاقات اقتصادية قوية مع الدول الأفريقية
على البحر الأحمر * ومن هنا فإن دوافعها لدخول حرب ضد مصر
كانت أقوى من خنيتها من دخول هذه الحرب ، عليها تفوز برفع
الحصار المصري على الملاحة الإسرائيلية *

على كل حال فإن مسؤولية عبد الناصر عن قرار تأميم
شركة قناة السويس لا تتمثل فقط في أنه اتخذته منفرداً دون أي
شريك من الحكومة والجيش ، وإنما تتمثل بالدرجة الأولى
في أنه اتخذته بينما كانت مصر غير مستعدة للحرب ، الأمر الذي
جعل من معركة إسرائيل في سيناء بمثابة نزهة ! فعندما شنت

اسرائيل هجومها على مصر قبل غروب شمس يوم ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ ، كانت سيناء شبه خالية من القوات المصرية ، اذ لم تزد القوات المصرية ، الموزعة في منطقة الجبهة ، على القوات التي وضعت لتأمين الحدود ضد أية غارات عدوانية ! أما بقية القوات فقد سحبتها القيادة المصرية لتتمركز في مداخل القاهرة والاسكندرية وعند القناة لحمايتها !

ولقد كانت الأهداف التي حددتها اسرائيل لعملياتها في الليلة الأولى من المعركة ، هي : مرمتلا ، والكويتلا ، ومحور نخل-التمد ، والقسيمة . وقد استطاعت اسرائيل احتلال هذه المواقع بسهولة ، بسبب بساط هو أنه لم تكن فيها وقت الهجوم قوات مصرية ذات أهمية !

وقد أبدى موسى ديان دهشته لسهولة استيلاء القوات الاسرائيلية على المواقع المصرية ، فقال : « لقد فوجئ الجيش المصرى تماما بعملياتنا ، على الرغم من الأنباء المنشورة في صحافة العالم قبل أيام عن تعبئة جنود الاحتياط في اسرائيل ، واستعداداتنا للحرب ! فلم يقدر المصريين أن هذه الاستعدادات موجهة ضدهم ! » ♦

وعندما قررت القيادة المصرية مؤخرًا دفع القوات المصرية الى سيناء لمواجهة القوات الاسرائيلية ، تبين عدم استعدادها !

فعندما أصدرت أوامرها الى القوات الجوية المصرية بقصف مواقع العدو التي أنزلت عند ممر متلا ، تذرع رئيس أركان حرب القوات الجوية ، محمد صدقي محمود ، بعدم توافر الوقود اللازم للقاذفات بمطار غرب القاهرة ، فاقترح البغدادي قيام القاذفات بمهمتها في تلك الليلة بما تحمله من وقود بالفعل في خزاناتها ، حتى يتم توافر الكميات المطلوبة في الصباح !

وفي الوقت نفسه كان عبد الحكيم عامر يدير المعركة بحالة عصبية - كما لاحظ عبد اللطيف البغدادي - وكان يصدر الأوامر في كل كبيرة وصغيرة ، وكان القادة في الميدان لا يملكون التصرف في كل صغيرة وكبيرة الا بعد الرجوع اليه ! كما كان يدفع بقوات كثيرة الى أرض المعركة دون مبرر واضح ، فلا يكاد يمر وقت دون سماع أخبار بتحقيق النصر حتى يقوم بدفع قوات جديدة الى سيناء !

وقد كان ذلك قبل أن تصدر كل من إنجلترا وفرنسا بعد ظهر يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ إنذارهما الشهير - في إطار مؤامرتهم مع إسرائيل - الذي يطالب الجانبين المتحاربين بإيقاف القتال وسحب قواتهما بعيدا عن قناة السويس بمسافة عشرة أميال ! فوصل بالأزمة الى ذروتها •

فلم يصدق عبد الناصر في البداية جدية هذا الإنذار

الذى يطلب من مصر الموافقة على احتلال قوات الدولتين مؤقتا
 مبدن القناة الثلاث ، متوهما أن الغرض منه احتجاز الجزء الأكبر
 من القوات المصرية غرب القناة دون تحريكها لمواجهة اسرائيل ،
 لتمكين اسرائيل من النصر . ومن هنا تقرر رفض الانذار وعدم
 قبوله ، واستمر عبد الحكيم عامر في دفع القوات المصرية الى
 سيناء بدرجة أكبر رغبة في تحقيق نصر سريع على اسرائيل
 قبل انتهاء مدة الانذار الثنائي وهي ١٢ ساعة .

وفي ذلك الحين جرت محاولات لاقتناع عبد الناصر بجدية
 الانذار دون جدوى ، فوفقا لعبد اللطيف البغدادي ، فانه ذهب
 الى القيادة العسكرية في صباح يوم ٣١ أكتوبر ، ثم حضر
 زكريا محيي الدين وكمال الدين حسين وجمال عبد الناصر ،
 « وفي أثناء مراجعتنا لسير المعركة على الخرائط ، أبدينا تخوفنا
 من احتمال انزال الانجليز والفرنسيين لقواتهما في منطقة القناة،
 بغرض عزل قواتنا الموجودة في سيناء . ولكن جمال عبد الناصر
 استبعد هذا الاحتمال ، ولم يقتنع بهذا الرأي » !

على أن عبد الناصر لم يملك الا الاقتناع بعد أن أصبحت
 الطائرات البريطانية فوق القاهرة ! وفي ذلك يقول عبد اللطيف
 البغدادي : « عدنا عند الغروب الى القيادة ، وحضر صلاح
 سالم ، وأبلغني أنه كان ذهب الى جمال عبد الناصر في منزله ،

وأقنعه بالانسحاب من سيناء • ولكنى لم آخذ كلام صلاح مأخذ الجد ، لمعرفتى بموقف جمال من هذا رأى فى ظهر نفس اليوم ، لأنه حتى تلك اللحظة كان لا يزال يعتبر أن الانذار غير جدى ا

» ثم حضر جمال الساعة السابعة مساء • وبعد حضوره مباشرة أعلنت غارة جوية على القاهرة ، ثم تبين لنا أن الذى قام بتلك الغارة هو طائرات السلاح الجوى البريطانى • كما كان قد تبين لنا أيضا من المعارك الجوية فى سماء سيناء أن عدد طائرات الميستير المشتركة فى المعركة أكبر بكثير مما لدى السلاح الجوى الاسرائيلى • وكان التفسير الطبيعى لهذا هو أن سلاح الطيران الفرنسى مشترك هو الآخر فى هذه العمليات بسيناء •

وقد كانت الخطوة المترتبة على اقتناع عبد الناصر بجدية الانذار البريطانى الفرنسى ، هى ضرورة سحب الجيش المصرى كله من سيناء ، وحتى من قطاع غزة ورفح والعريش وشرم الشيخ ، وهو ما حدث بالفعل ، وصدر قرار الانسحاب الشامل من تلك المنطقة فى الساعة العاشرة والثلث من مساء يوم ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ ، وبدأ عبد الحكيم عامر فى اصدار أوامره بالتنفيذ •

على أن اقتناع الجميع بدخول انجلترا وفرنسا المعركة - وهو الذى جاء متأخرا كما رأينا - كان له وقع الصدمة لدى

الجميع في مبنى القيادة العسكرية ، فقد أفاق الجميع على حجم الخطر ، الذي كان يدق أبوابهم منذ بداية اعلان تأميم قناة السويس ، دون جدوى !

وشعر الجميع بالفزع عندما أسقطت بعض الطائرات البريطانية المغيرة بعض المشاعل فوق منطقة السباق بمصر الجديدة لتضىء لها الأهداف العسكرية ، واعتقد بعض أفراد قوة الدفاع الجوى الموجودين في المنطقة أنه تم انزال جنود المظلات المعادية في المنطقة ، وهي القرية من مبنى القيادة العسكرية ومن منزل جمال عبد الناصر ، وتصور بعض ضباط القيادة أن انزال هؤلاء الجنود كان بهدف اقتحام مبنى القيادة ومنزل جمال عبد الناصر للاسالك بهما .

وقد صور عبد اللطيف البغدادى جو الفزع الذى أعقب وصول هذا النبأ بقوله :

« حدث على أثر سماع هذا الخبر ما لم أكن أتوقعه من الانفعال والعصبية ! » . وتكلم عبد الحكيم قائلًا : « اختفوا جميعا واتركوني مع الجيش » ! واضطرب جمال وفكر في أولاده ، وطلب العمل على نقلهم فورا الى القطار الخيرية ، ولكنه عاد بعد فترة وطلب نقلهم الى منزل وسط القاهرة خوفا من كلام الناس حتى لا يقال انه هرب أولاده وترك الناس

معرضين للخطر • وأما صلاح سالم فانه كان يصبر على قيامنا فورا بمغادرة مبنى القيادة والاختفاء ! وطلب منا أن نذهب الى منزله لنناقش الموقف في هدوء وبعيدا عن الخطر • وزكريا تكلم عن ثلاث شقق كان قد سبق تجهيزها لاستخدامها عند الطوارئ في حالة ما اذا اضطررنا الى العمل سرا تحت أى ظرف من الظروف •

» وبحث عبد الناصر عن قوات عسكرية بالقاهرة لاستخدامها في التصدي لجنود المظلات الموهومين ، ولكنه تبين أن ليس هناك أى قوات بالقاهرة غير الكتيبة « ١٣ » المكلفة بحراسة منزل عبد الناصر !

كان دخول بريطانيا وفرنسا المعركة معناه أن فرصة مصر في الانتصار قد أصبحت منعدمة ، وهو ما استقر فى يقين الجميع • ومن هنا كان السؤال الذى طرح فى ذلك الحين فى مبنى القيادة هو - وفقا لعبد اللطيف البعدادى - « هل نستمر فى المعركة وتحمل نتائج التخريب والتدمير ، أو نجنب البلاد هذا الدمار والاستسلام ، والاختفاء لمقاومة هذا الاحتلال الذى سيفرض علينا ، وذلك عن طريق المقاومة السرية » ؟

» كان الاتجاه الغالب هو الاختفاء والقتال ، وأما جمال فكان مضطربا ، ولكنه لم يبد رأيه فورا ، ولم يظهر اتجاهه ! •

- (٥) -

المشكلة الحقيقية في فيلم « ناصر ٥٦ » لا تكمن في أنه يرسم صورة دعائية براقة لقرار تأميم شركة قناة السويس ، تحيط عبد الناصر بهالات البطولة والمجد ، بعيدة كل البعد عن الواقع ، وانما المشكلة هي أن هذه الصورة الزائفة هي الصورة التي سوف تبقى في ذهن الجماهير المصرية مهما صدرت من كتب التاريخ التي تصحح هذه الصورة ! فالكلمة الجرداء من أية أصباغ لا تستطيع أن تقف أمام فن السينما بكاميراته وأضوائه وملابسه وديكوراته وألوانه . وهكذا تبقى الجماهير مغيبة وعيها دائما أبدا لا تعرف تاريخها الا مشوها أو مزوقا ! مع ما يعرفه الغرب جيدا من أن التاريخ الصحيح هو الذي يصنع وعيا قوميا صحيحا !

فلقد رأينا من مقالاتنا السابقة كيف أن قرار تأميم قناة السويس قد اتخذ على غير ما تتخذ الدول قراراتها التاريخية

(★) الوند الموافق ١١/٩/١٩٩٥ .

الصعبة التى يدفع أبنائها ثمنها من حياتهم ومصائرهم من حسابات . فقد اتخذ عبد الناصر على مسئوليته الخاصة ، دون أن يشرك معه حكومته أو جيشه ، ويا ليت اتخذ بناء على حسابات دقيقة صائبة ، وانما اتخذ بناء على حسابات وهمية تفترض أن ردود فعل الغرب لن تصل الى حد الحرب ، وتستبعد كلية أى تواطؤ بين الغرب واسرائيل ، فى الوقت الذى كانت مؤامرة العدوان الثلاثى تجرى حلقاتها بين لندن وباريس ا بل كانت حساباته تفترض أنه لو كان لاسرائيل ما يدفعها الى انتهاز الفرصة للعدوان على مصر ، فان بريطانيا لن تقبل بذلك ا وعلى حد قول الأستاذ محمد حسنين هيكل انه عندما تعرض عبد الناصر لاحتمال تورط اسرائيل فى الحرب ، انتهى الى استبعاده على أساس أن « ايدن لن يقبل ، وأن اسرائيل قد تحاول ولكن ايدن لن يقبل » !

والأسوأ من ذلك بكثير أنه عندما اتخذ عبد الناصر قرار التأميم لم تكن مصر مستعدة للحرب ا فلم يكن عمر التسليح الحديث للجيش المصرى يزيد على تسعة أشهر ، ولم يكن قد تم استيعابه استيعابا كاملا . وفى الوقت نفسه فان القوات المصرية الموجودة فى سيناء تم سحبها لتعزيز دفاعات القناة ومداخل القاهرة والاسكندرية لمنع اعاقه الملاحة الدولية على نحو يعطى الغرب الفرصة للتدخل العسكرى .

وهكذا يمكن القول - دون كثير من المبالغة - أن الوضع العسكري في مصر عندما اتخذ الغرب قراره بالهجوم على مصر . كان يشبه الوضع عندما اتخذت حكومة الديركتوار في فرنسا قرار ارسال الجنرال بوناپرت الى مصر في عهد حكومة الماليك !

ولست أدري هل كان هذا الوضع هو الذي ألهم بعض المفكرين وصف ضباط يوليو بوصف « الماليك الجدد » ! أو أن أسلوب ادارة مصر العشوائى والفردى - والذي يعتبر قرار تأميم شركة قناة السويس أنموذجا له - هو الذى ألهمهم هذا الوصف !

على كل حال ، فلم يقتنع عبد الناصر بوجود مؤامرة العدوان الثلاثى على مصر الا عندما قام سلاح الطيران البريطانى بغارته على القاهرة ، فى الوقت الذى كانت طائرات « الميستير » الفرنسية تقوم بعملياتها فى سيناء ، والا بعد أن كان الجيش الاسرائيلى يحتل ممر ميتلا والكوتتلا ، ومحور نخل - التمد ، والقسيمة ! وعندئذ أفاق الجميع على حجم الخطر الذى كان يدق أبوابهم منذ اعلان قرار تأميم شركة قناة السويس دون أن يعيروه اهتماما ! وعندما أسقطت بعض الطائرات البريطانية المغيرة بعض المشاعل فوق منطقة السباق بمصر الجديدة ، وتصوروا أن جنود المظلات البريطانية قد أنزلوا

الى المنطقة لاختطاف عبد الناصر ، ساد الجميع الفزع ، وكان الاتجاه الغالب هو الاختفاء والقتال ، وأما جمال فقد كان - على حد قول عبد اللطيف البغدادي - مضطربا ، ولكنه لم يبد رأيه فورا ، ولم يظهر اتجاهه ! » *

على أن الموقف كان قد تغير تغيرا جذريا في نظره ، فقد انقلب على موقفه السابق الذي كان يتصور أن الانذار البريطاني والفرنسي هدفه حجز الجانب الأبر من القوات المصرية مجمدا في الغرب دون تحريكه الى سيناء لمواجهة اسرائيل ، وطلب الى المشير عامر سحب الجيش المصري كله من سيناء للدفاع عن القناة ، على أساس انه اذا انزل البريطانيون والفرنسيين دباباتهم في بورسعيد ، فان الدبابات المصرية كلها ستعزل في الصحراء . وكانت هذه القوات تتكون من فرقة في غزة والعريش ، ولواء في أبو عجيلة وأم كناف .

على أن المشير عامر اعترض على هذا الرأي ، وظل في مناقشة عاصفة مع عبد الناصر طول الليل ، مما أخر سحب الدبابات . ولكن رأى عبد الناصر انتصر ، وتم بالفعل إخلاء سيناء من القوات المصرية بعد أن صدر القرار بذلك في الساعة العاشرة والثلاث من مساء يوم ٣١ أكتوبر .

على أن خلافا آخر وقع بين المشير وعبد الناصر حول مكان

انسحاب القوات المصرية ، فقد كان تقدير المشير عامر أن تنسحب القوات الى الدلتا ، حيث القنوات والترع والخطوط الدفاعية والكتافة السكانية ، ولذلك أصدر أوامره بنقل مركز الرئاسة الى الزقازيق ، وأخذت الوحدات تتجه بالفعل الى الدلتا * على أن عبد الناصر اعترض على هذه الخطة ، التي رأى أنها تترك القناة مكشوفة بلا دفاع ، رغم أنها هي الهدف الرئيسى المحدد للقوات البريطانية والفرنسية ، التي حددت هدفها فى احتلال مدن القناة الثلاث : بورسعيد والاسماعيلية والسويس *

وقد كان نتيجة هذا الخلاف ، الذى انتصر فيه رأى عبد الناصر ، أن صدرت الأوامر مرة أخرى للقوات التي انسحبت الى الدلتا ، للعودة من جديد الى منطقة قناة السويس لتعزيز دفاعات بورسعيد والاسماعيلية ! الأمر الذى أدى بالضرورة الى مضاعفة الخسائر ، وهو ما شاهده عبد الناصر بنفسه كما سوف نرى *

وكان الشعور بالهزيمة ثقيلًا بعد ما تأكد من دخول كل من انجلترا وفرنسا المعركة ، وعلى حد قول عبد اللطيف البغدادى : « كان موقفنا عصيبا حقا ، لأن نتيجة المعركة معروفة مسبقا ، ولأنه ليس من المعقول أن ننتصر عليهما وعلى ربييتهما اسرائيل ، وكان السؤال الذى يدور فى ذهن كل منا فى تلك اللحظة : هل نستمر فى المعركة ، وتحمل نتائج التخريب والتدمير ،

أو نجنب البلاد هذا الدمار ، بالاستسلام والاختفاء لمقاومة هذا الاحتلال الذي سيفرض علينا ، وذلك عن طريق المقاومة السرية؟
والطريف انه-فى تلك اللحظات تذكر عبد الناصر مجلس وزرائه ، وهو اندى رايئا أنه تجاهله عندما اتخذ قرار تأميم قناة السويس وانتهى بإبلاغه به قبل اعلانه . ولكنه كان مترددا ! فقد سأل عبد اللطيف البغدادى عما اذا كان من المستحسن دعوة مجلس الوزراء الى الاجتماع أم لا ؟ وقد أيد البغدادى فكرة الدعوة . وكان مجلس الوزراء عند حسن ظن عبد الناصر، فقد تكلم جمال عن خطة العدو وأهدافه ، والأسباب الذى دعتة الى سحب قواتنا من سيناء ، وقد استمع المجلس الى كل ذلك في سكوت تام ! « على حد قول البغدادى ، أى دون أن ينطق أحد بتعليق واحد لا بالموافقة أو الرفض !

وفى تلك اللحظات الحاسمة انقسمت قيادة ثورة يوليو بين فكرة المقاومة وفكرة الاستسلام . وكانت القيادة العسكرية قد استقرت على الاستسلام ! فقد قابل المشير عامر عبد الناصر وصارحه بأن الاستمرار فى المعركة سيترب عليه تدمير البلاد ، وقتل المدنيين ، وأن الشعب سيكره النظام ، والقائمين عليه ، وتفاديا لهذا التدمير فانه يفضل أن نطلب ايقاف القتال .

وقد فاجأ هذا القول عبد اللطيف البغدادى الذى اعترض قائلاً انه اذا كان لابد من خسارة المعركة ، فلا بد أن نخسرها

بشرف * ولكن خسارة المعركة بشرف كانت تتطلب - في
رأيه - الاستمرار في المعركة حتى تسقط القاهرة ! » وبعدها
تقدر موقفنا ! أي بعد خراب مالطة !

وفي تلك الأثناء حضر صلاح سالم لينبذ رأيه بوجوب
تجنيب البلاد ويلات التدمير والتخريب ، وليقترح على جمال
عبد الناصر أن يطلب وقف القتال ، والاستسلام ! وقد زاد على
ذلك قوله : « ونقوم نسلم أنفسنا للسفير الانجليزي تريفيليان ! »

على أن عبد الناصر كان قد استمد من الجماهير المصرية
قوة عندما ذهب الى الجامع الأزهر ، وخطب في المصلين ،
وشرح لهم اهداف العدو وما كانوا ينوونه ، وأخبرهم أن سحب
القوات المصرية من سيناء قد أفسد خطتهم ، وأعرب عن
الاصرار على القتال وسط حماس الجماهير *

لذلك رفض عبد الناصر خطة صلاح سالم في الاستسلام ،
واستحسن الاتحار على الاستسلام ! وطلب من زكريا
محبي الدين احضار عدد من زجاجات سم « سيانور البوتاسيوم »
سريع المفعول ، تكفى العدد الموجود لاستخدامها عند اللزوم !

على هذا النحو تقرر عدم الاستسلام ، والاستمرار في
المقاومة « الى الحد الذي نعتقد أنه سيكون من الجنون بعد ذلك

الاستمرار في القتال ، وعندئذ يكلف جمال شخصا بالتفاوض مع
القوى المعتدية لايقاف القتال » •

على أن عبد الناصر كان في تلك الأثناء قد انعزل عن
الجيش ولم يعد يدرى شيئاً عما يدور داخله أو ما يقوم به !
وفي ذلك يقول عبد اللطيف البغدادي في يومياته ، انه زار
عبد الناصر يوم ٣ نوفمبر ١٩٥٦ ، وكانت طائرات الأعداء تقوم
بضرب مطار المأظة وقشلاقتها العسكرية بالقنابل والمدافع
الرشاشه ، وكانت الغارات في ذلك اليوم شديدة ومركزة ، فأخذ
عبد الناصر وجهه بين كفيه وقبله ، وشكى له من أنه : « لا يعلم
شيئاً عما يفعله الجيش ، وأن القوات العسكرية انتشرت في
شوارع القاهرة ، وتركّت منطقة القناة ! رغم الاتفاق على سحبها
من سيناء للدفاع عن تلك المنطقة » • ومن انه منعزل تماما عن
القيادة العسكرية ، ولا تصله أية معلومات عن أوامر العمليات
أو تحركات القوات ، أو خطة الدفاع ، رغم أنه المسئول
الأول في الدولة ! وأن صلاح سالم أصبح وكأنه هو المسئول ،
وتنفذ اقتراحاته ويصدر الأوامر ، وهو الذي أقنع عبد الحكيم
بالتسليم ووقف القتال وأصبح مسيطرا عليه •

وكانت حالة عبد الناصر وهو يذكر ذلك « عصبية » - كما
يقول البغدادي - « بل كان يكاد يفقد السيطرة على نفسه » !

- ٦ -

إذا كان قرار تأمين شركة قناة السويس قد أثبت شيئا ،
فهذا الشيء هو أن عصر القرارات الفردية قد انتهى مع انتهاء
القرن التاسع عشر ، وأن الشعوب تدفع ثمننا غاليا للقرارات
الفردية من امكانياتها الاقتصادية والعسكرية والبشرية على نحو
يؤثر على حاضرها ومستقبلها • وهو ما أثبتته تاريخ القرارات
الفردية في عالمنا العربي منذ قرار تأمين قناة السويس حتى قرار
صدام حسين بغزو الكويت ، على الرغم من اقتناعنا الشخصي
بالفرق الهائل بين القرارين ، فقد كان عبد الناصر يطالب بحق ،
وكان صدام حسين يطالب بباطل ، ولكن الأسلوب الفردي في
اتخاذ القرار كان واحدا •

وهذا هو السبب في أنه عندما حانت محاسبة عبد الناصر
على قرار تأمين شركة قناة السويس ، كانت البلاد غير مستعدة
لهذه المحاسبة العسيرة ، وكان نظام الحكم نفسه غير مستعد !

(★) الوند الموافق ١٨/١/١٩٩٥ •

فقد رأينا كيف احتلت اسرائيل سيناء دون مقاومة تذكر ، كما
 رأينا كيف تشرخ نظام عبد الناصر وبدأ هشا في وجه الاعصار .
 فقد تهاوت القيادة العسكرية واستقرت على الاستسلام ، وطلب
 صلاح سالم من عبد الناصر وقف القتال و « نقوم نسلم أنفسنا
 للسفير الانجليزى تريفيليان » ! واستقر الأمر على فكرة
 الانتحار ، وجيء بزجاجات سم « سيانور البوتاسيوم » سريع
 المفعول بما يكفي عدد أفراد نظام عبد الناصر ! واستنادا الى
 حائط الانتحار أخذ عبد الناصر يستعد للمقاومة ، وقرر الذهاب
 الى بورسعيد ليقا تل مع الجيش .

وفى ذلك يذكر عبد اللطيف البغدادي انه فى يوم الأحد
 ٤ نوفمبر ١٩٥٦ ، وكان يبيت مع جمال عبد الناصر فى مجلس
 قيادة الثورة ، توجه الى حجرة عبد الناصر صباحا ليتناول طعام
 الافطار معه ، ففوجيء بأنه قد ارتدى ملابسه ، وعندما دخل
 عليه الغرفة ربت على ظهره وهو جالس على مائدة الافطار ،
 وقلت له : « كيف الحال اليوم ؟ فرد على بأنه لم ينم طوال
 الليل ! وصرح لى بأنه قد بكى ، وأنه - على ما يظهر - قد
 أضاع البلد » على حو قوله ! فتأثرت لحاله ، وجلست أتناول
 افطاري معه وأنا شارد الذهن ، ولا أعرف ماذا أفعل الأساعده
 وأساعده نفسى أيضا فى الموقف العصيب الذى يحيط بنا .

ومر طول النهار ، ونحن نتتبع الأحداث وما يجري حتى المساء • وحوالى الساعة الحادية عشرة مساء ، طلب منى جمال ان أصعد معه الى الدور العلوى بمبنى مجلس قيادة الثورة ، وصعدنا ، وبعد أن وقفنا قليلا ننظر الى مياه النيل ، وكان الظلام مخيما على جميع أنحاء المدينة ، والسكون شاملا ، تكلم جمال قائلا : « اننى قررت أن أذهب الى بورسعيد الليلة ، حتى أرى ماذا سيفعل الجيش عندما يعلم أن رئيسهم قد ذهب الى بورسعيد ليقاتل بنفسه ! وعليك أنت أن تتولى أمر السياسة والدعاية » •

ولكنى رددت عليه بقولى : « سأذهب معك ، وعلى الأقل نستشهد هناك فى الدفاع عن بلادنا » ! ولكنه طلب منى أن أعيد التفكير فى هذا القرار • وعندما وجد منى اصرارا على ملازمته والذهاب معه ، قال : « ستتحرك عند منتصف الليل » •

والغريب أنه عندما طلب البغدادى من عبد الناصر ابلاغ عبد الحكيم عامر باعتزامهما السفر الى بورسعيد ، خشية أن يفاجأ فى الصباح بوجودهما فى بورسعيد ، رفض عبد الناصر ! وعندما ألح البغدادى ، تظاهر عبد الناصر بالموافقة ، ولكنه علم وهما فى الطريق الى الاسماعيلية أنه لم يخطر عبد الحكيم عامر بالسفر ! وهو ما يشير الى انعدام الثقة بين الرجلين الذين كانا يهيمنان على مصير مصر فى تلك اللحظات المصيرية فى حياة مصر !

وكان لدى عبد الناصر ما يبرر عدم ثقته بعبد الحكيم عامر، فقد ذكرنا في المقال الماضي كيف أنه كان معزولا عما يجري في الجيش ، وقد دارت مناقشة عاصفة في هذا الشأن حضرها عبد اللطيف البغدادى ، وحضر الجزء الأخير منها زكريا محيى الدين وحسن ابراهيم . فأبدى المشير استعدادة الآن يتولى عبد الناصر القيادة العسكرية بنفسه ، ولكن عبد الناصر رد بأنه لا يطلب تولي القيادة ، وانما يطلب فقط أن يكون على علم بما يجري ، « وأن يؤخذ رأينا ، فنحن أيضا كنا عسكريين ونفهم بعض الشيء » !

وفي النهاية ، وبعد نقاش حاد ، تم الاتفاق على أن يقوم عبد الحكيم عامر بارسال ضابطين من ضباط أركان الحرب من مكتبه ، ليكونا ضابطى اتصال بمكتب جمال ، وذلك حتى تتوافر له الصورة أولا بأول .

على أنه عندما تم الاجتماع بضابطى الاتصال اللذين أرسلهما عبد الحكيم في مساء ذلك اليوم ، اكتشف عبد الناصر أن خطة الدفاع ضعيفة !

وعلى حد قول البغدادى : « ناقشنا مع ضابطى الاتصال خطة الدفاع عن القاهرة ، فعلمنا أن الخطة كانت - حتى ذلك المساء - هي الدفاع عن غرب فرع رشيد ! وذلك حتى يتم

اعادة تنظيم القوات المنسحبة » • فقال لهما جمال : « معنى هذا أننا الآن ، ونحن فى القاهرة ، خارج منطقة الدفاع ؟ »
 فقيل له : « نعم » ! ولما ناقشنا خطة الدفاع عن منطقة القناة ، وجدناها ضعيفة ، لأن أغلب قواتنا العسكرية كانت قد انسحبت الى منطقة القاهرة • وطلب تعزيز الدفعات بتلك المنطقة •

وقد برر ضابطا الاتصال ضعف خطة الدفاع عن منطقة القناة بأنه من الصعوبة بمكان انزال قوات معادية فى بورسعيد أو السويس ! وأنه اذا كانت هناك محاولة من العدو فستكون غرب الاسكندرية ، وأنه لذلك لم تعط أهمية قصوى لتقوية الدفاعات فى منطقة القناة !

وقد رد عليهما عبد الناصر والبغدادى بأن هذا التقدير منهما خاطئ ، لأن الانذار البريطانى الفرنسى قد حدد المنطقة التى يتم احتلالها وهى منطقة القنال ، ولأنه من الناحية السياسية لا تستطيع انجلترا وفرنسا احتلال كل أراضى مصر لتصل الى القناة التى هى موضع الخلاف ، ومن الناحية العسكرية فإن خسائرهما ستكون باهظة وتطول مدة العمليات •

ويتبين من هذه القصة مدى تخبط القيادة العسكرية وسوء تقديرها للموقف العسكرى ، وهو ما أدى بعبد الناصر الى تجاهل المشير عامر عند سفره مع عبد اللطيف البغدادى من

القاهرة للذهاب الى بورسعيد ولكن الغريب حقا هو أن عبد الناصر قد قبل بعد ذلك بوجود عبد الحكيم عامر على رأس الجيش المصرى رغم ما أبدى من ضعف قيادة وتخبط ! ولعله كان يضع فى اعتباره أنه هو الذى وضع المشير عامر فى هذا العجز بقراره الانفرادى بتأميم قناة السويس •

وكان عبد الناصر يحس بمسئوليته بعمق فى تلك الأيام العصيبة ، فقد رأينا أنه اعترف لعبد اللطيف البغدادى بأنه بكى ، لأنه « على ما يظهر قد أضاع البلد » !

ونلمس ذلك بوضوح فى رحلة عبد الناصر التاريخية مع عبد اللطيف البغدادى الى الاسماعيلية فى طريقهما الى بورسعيد • يقول عبد اللطيف البغدادى :

« اتخذنا طريق الكورنيش بعد مغادرتنا لمبنى مجلس الثورة ، ومنه اتجهنا الى الاسماعيلية • وعلى هذا الطريق شاهدنا عربات عسكرية كثيرة مدمرة أو مقلوبة ، ودبابات متروكة ، منها المحروق ، ومنها ما يظهر أنه سليم ، أو ربما يكون معطلا نتيجة اصابته من الطائرات المعيرة التى ظلت تهاجم القوات المتحركة على هذا الطريق بعد الانسحاب وهى فى طريقها الى القاهرة » •

وكان جمال يسألنى عن كل دابة أو عربة نمر بها :ماذا بها ؟
 وكنت أشعر أنه فى عالم آخر ، غارق فى التفكير . وكنت ألس
 أنه متعب جدا من الموقف . وكنت أحاول أن أخفف عنه ، وأهون
 عليه الأمر . وكنت أعتبر هذا من واجبى فى هذه الآولة التى
 تمر بها بلادى ، وأعرف أن جمال هو رمز الثورة فى مصر بل
 وفى المنطقة كلها .

وبينما نحن فى طريقنا الى الاسماعيليه ، قال جمال بصورة
 مؤثرة ومجزئه ، بعد ما شاهد العربات والدبابات محطمة على
 جانبى الطريق : « انها بقايا جيش محطم » ! وأخذ يتحسر على
 المبالغ التى كانت قد أنفقت على تسليح الجيش قائلا : ان مائة
 وثلاثة ملايين من الجنيهات قد ضاعت هباء ! كما قال بالانجليزية :
 لقد هزمت بواسطة جيشى ! وكنت أقول له : لا تيأس ! ولكنه
 يرد على بقوله : الك تعرف أننى لا أياس أبدا ! وكنت أحس
 أن أمامى رجلا محطما ، ويتوقف عليه وعلى تصرفاته مستقبل
 بلدى . وشعرت بالعطف عليه . . وكنت أقارن بينه فى تلك
 اللحظة وبينه فى لحظات أخرى سابقة ، عندما كان يشعر بالانتصار
 والقوة ، وكنت أعرف ما يدور بخلده وهو فى هذه الحالة ،
 وأن لا حول له ولا قوة ، رغم أنه قائد ثورة ورئيس جمهورية !

ولم تكتمل رحلة عبد الناصر الى بورسعيد ، فقد نصحهما
 كمال الدين حسين ، الذى كان يتولى الدفاع عن الاسماعيليه .

بالبقاء في الاسماعيلية حتى مساء ثاني يوم ، لأن استمرار
رحلتهم سيخضعهما لهجمات طائرات العدو عندما يطلع النهار .
وقد قبلوا النصيحة ، وآويا الى فراشهما حوالي الساعة الخامسة
صباحاً ، وكان البغدادي يبيت مع عبد الناصر في غرفة واحدة ،
وبعد لحظة من انفرادهما ، وجه عبد الناصر الكلام الى البغدادي
قائلاً : « أنا تعبان » ! قالها وهو يتقلب في فراشه ، قالها وهو
في حالة يأس شديد يشعرني بها ، وقلت له : « أنا عارف ،
ولكن شد حيلك » ! ولم أكن أعرف بماذا أرد عليه غير ذلك .
وسكت ، وسكت أنا أيضا » .

لقد كان عبد الناصر في ذلك الحين يدفع ثمن القرارات
غير المحسوبة ، ولكنه لم يكن وحده ، فقد كان الشعب المصري
بأسره يدفع الثمن أيضا !

- ٧ -

رأينا فى مقالنا السابق كيف انهار عبد الناصر وهو فى طريقه الى الاسماعيليه مع عبد اللطيف البغدادى ، بعد ما شاهد العربات والدبابات المصرية محطمة على جانبي الطريق ، وكان تقديره الذى أدلى به لعبد اللطيف البغدادى هو أنه « هزم بواسطة جيشه » وقد قالها بالانجليزية :

I was deteated by my army

على أن الحقيقة هى أنه هو الذى هزم جيشه ! لأنه دفع به الى الحرب دون استعداد . ذلك أن مقارنة القوات المضربة بالقوات الاسرائيلية حتى بعد حصول مصر على صفقة الأسلحة الروسية تعتبر حاسمة فى توضيح تفوق القوات الاسرائيلية على القوات المصرية . ففى حين كان لدى مصر فى القوات البرية ١٢ لواء ، كان لدى اسرائيل ٢١ ، وفى حين كان لدى مصر ٧٧٦ من المدفعية والهاونات ، كان لدى اسرائيل ٩٩٠ ، وبينما كان لدى مصر من المقاتلات الجوية ٧ مقاتلات كان لدى

(★) الوفد الموافق ١٩٩٥/١/٢٥ .

اسرائيل ٩ ، ولم يكن لدى مصر من القاذفات المقاتلة سوى قاذفة واحدة بينما كان لدى اسرائيل ٧ ، أما القاذفات فكان لدى مصر قاذفتان أما اسرائيل فكان لديها ٤ ، ولم يكن لدى مصر أية طائرة استطلاع بينما كان لدى اسرائيل ٣ - وهكذا *

وفي الوقت نفسه وبالنسبة للدبابات المصرية فكانت من نوع ت ٣٤ الروسى التى خدمت فى الحرب العالمية الثانية ، وهى أقل كفاءة من الدبابات الاسرائيلية من طراز شيرمان وسوبر شيرمان وستوريان ، وهى انجليزية وفرنسية الصنع . ولم يكن الطيارون المصريون قد استوعبوا الطائرات الروسية من طراز ميغ ١٥ و ١٧ ، بينما كان الطيارون الاسرائيليون قد تلقوا التدريب على يد فرنسا . كما تمتعت القوات البرية الاسرائيلية بخفة الحركة نظرا لتزويدها بناقلات الجند الفرنسية نصف جنزير ، فضلا عن تفوق مدفعيتها ذاتية الحركة . وهذا الكلام منقول من كتاب حرب العدوان الثلاثى على مصر الذى أعدته هيئة البحوث العسكرية بوزارة الدفاع المصرية *

على أن هذه المقارنة بين القوات المصرية والقوات الاسرائيلية لم تكن مما يهم عبد الناصر فى قليل أو كثير ، فلم يكن يلقى ببال لها ، ولم يكن يتوقع قيام اسرائيل بأى عدوان عسكري على مصر باتتهاز أزمة تأميم شركة قناة السويس ، وحتى لو فكرت فى ذلك فقد كان يعتقد أن ايدن سوف يمنعها ا

وفى ظل هذه الثقة الكاملة بأن ايدن سوف يمنع اسرائيل من العدوان على مصر ، فقد استبعد عبد الناصر تماما قيام ايدن نفسه بالعدوان على مصر ! ومعنى ذلك استبعاد تورط كل من انجلترا وفرنسا في حرب ضد مصر ، وبالتالي فلم تدخل قوات تلك الدولتين في اطار المقارنة مع القوات المصرية !

لقد كان عبد الناصر يعتقد أن عملية تأميم شركة قناة السويس مأمونة تماما ولا تشكل أى تهديد عسكري لمصر ، وهذا هو السبب في أنه عندما تحقق من أن ظنه كان يقوم على أوهام ، ووقعت الواقعة ، كان الجيش المصرى هو الضحية الأولى ، فقد وجد نفسه يخوض حربا ضد قوات تفوقه عددا وعدة تنتمى لدولتين عظميين ودولة متربصة بمصر .

ومن سخريات القدر حقا أن سوء تقدير وحسابات عبد الناصر لنتائج القرارات السياسية التى يتخذها لم ينعكس فقط على ضياع الجيش المصرى في حرب ١٩٥٦ ، بل انعكس أيضا على ضياع الجيش المصرى في حرب يونيو ١٩٦٧ !

وهو ما حدث عندما اتخذ عبد الناصر قراره بسحب قوات الطوارئ الدولية من غزة وشرم الشيخ ، فأعاد المواجهة بين مصر واسرائيل ! ثم اتخذ قراره بإغلاق الملاحة فى وجه

إسرائيل عن طريق غلق خليج العقبة ، فوصل بالأمور بين مصر وإسرائيل الى حالة الحرب ! وذلك دون أن يكون الجيش المصرى مستعدا للدخول فى حرب فى ذلك الحين !

ونلاحظ أن هذين القرارين ، مثلهما فى ذلك مثل قرار تأميم شركة قناة السويس ، كانت قرارات مدوية ، أسبغت بالفعل على عبد الناصر حالات البطولة والزعامة فى العالم العربى ، ولكنّه اتخذها دون أى استعداد عسكرى لمواجهة نتائجها ! فكانت نتائجها فادحة ومأساوية على مصر والعالم العربى ، وكانت فاتورة الحساب التى دفعتها الأمة العربية باهظة ! ومع ذلك فمن الغريب أن الأمة العربية لا تذكر فاتورة الحساب ، التى لاتزال تسدد أقساطها حتى يومنا هذا ، وانما تذكر الحماس الجنونى الذى صاحب صدور هذه القرارات !

ولكن المهم هو أن حسابات عبد الناصر الخاطئة عند تأميم شركة قناة السويس أفقدته ثقة المشير عامر عندما تنبأ فى يوم ٢ يونية ١٩٦٧ بأن إسرائيل سوف تضرب الضربة الجوية الأولى فى خلال ٤٨ - ٧٢ ساعة ، فكما هو معروف فإن عبد الحكيم عامر لم يأبه لهذه النبؤة ، ولم يحترمها ، ولم يتخذ أية اجراءات فعالة تسمح للقوات المسلحة بتوقى الضربة الأولى وتوجيه ضربة مضادة انتقامية .

فعندما سأل الفريق عبد المحسن مرتجى المشير عامر بعد انتهاء الحرب عن سبب عدم الأخذ بوجهة نظر عبد الناصر فى ميعاد نشوب القتال ، رد المشير قائلا : « انه لا يعرف فى عبد الناصر أنه كاهن أو أن الوحي ينزل عليه ، أو عنده من صفاء الروح والشفافية ما يجعله يتنبأ مسبقا بالأحداث » ! واستطرد المشير عامر قائلا : « ان عبد الناصر سبق وتنبأ فى عام ١٩٥٦ ، بعد تأميم قناة السويس ، بأن الموقف الدولى لن يسمح للانجليز والفرنسيين ان يشنوا هجوما على مصر بسبب هذا التأميم ، وكان هذا التنبؤ ضد رأى المخابرات الحربية التى تجمع لديها من المعلومات عن تحركات الانجليز والفرنسيين ما يوحى بأن الهجوم على مصر مرجح جدا بل انه مؤكد .

ثم قال المشير عامر انه لم يأخذ كلام عبد الناصر على محمل الجد : « وهل معقول ، اذا أخذت رأى الرئيس على أنه حقيقة تقع ، أن أطلب من جميع القادة فى سيناء أن ينتظرونى فى مركز القيادة المتقدم فى سيناء يوم ٥ يونيو ، وأن أعرض حياتى ومعى قائد الطيران والقادة الآخرون للخطر ؟ » .

وهذه مأساة - كما لعل القارئ يلاحظ ! - لقد كانت مصر واقعة فى يد اثنين : أحدهما ، وهو عبد الناصر يتخذ قراراته

بناءً على حسابات خاطئة ، والآخر ، وهو عبد الحكيم عامر ،
يقيم خططه العسكرية بناءً على حسابات خاطئة ! وكانت النتيجة
أنه عندما توفي عبد الناصر في يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ كانت كل
أرض سيناء والضفة الغربية وغزة والجولان واقعة تحت
الاحتلال الاسرائيلي .

وهنا نحن نرى المتشجنين من حملة قميص عبد الناصر
يصابون بالأرتيكاريا كلما كشفنا حقيقة هذا النظام ورموزه
من واقع الوثائق التاريخية المحققة . لقد عاشوا في الوهم ،
ويستمرءون العيش في الوهم ، ولا يريدون أن يفيقوا الى حقائق
التاريخ ، ولا يريدون لشعبنا أن يعرف تاريخه الحقيقي !

على أن عبد الناصر كان في نوفمبر ١٩٥٦ يعرف أنه دفع
بالبلاد الى هوة ليس لها قرار ، وعلى حد قول عبد اللطيف
البغدادي « صرح لي بأنه بكى ، وأنه على ما يظهر قد أضاع
البلد » !

وقد أورد صلاح نصر أن عبد الحكيم عامر ذكر عبد الناصر
بتحذيره له من مواجهة دولتين كبيرتين ، وقال لعبد الناصر
ان القوات المسلحة ليست في وضع استعداد لمواجهة غزو كبير ،
وان معني ذلك انتحار القوات المسلحة ، وتخريب اقتصاد
مصر ، وأن ضرب مصر سوف يؤخرها ألف سنة على الأقل ،

وأن ضميره لن يسمح له بأن يتحمل الشعب المصري هذه
المجزرة •

ويصف صلاح نصر عبد الناصر عند سماع هذا الكلام بأنه
كان « في حالة أشبه بالهستيريا ، ويبدو أنه تذكر نهاية هتلر
وبعض أعوانه ، فاقترح على أعضاء مجلس الثورة الانتحار كبديل
للاستسلام » !

وبسبب اهتزاز الثقة بين عبد الناصر والمشير فانه سافر
الى الاسماعيلية مع عبد اللطيف البغدادي في طريقهما الى
بورسعيد ، دون أن يخبر عبد الحكيم عامر قائد جيشه بذلك ،
رغم الحاح البغدادي عليه - كما ذكرنا - على أن المشير
أرسل صلاح نصر في أثره في اليوم نفسه بحجة الوقوف على
الموقف العسكري في الاسماعيلية !

وعلى طريق الاسماعيلية ، كما يقول صلاح نصر « رأيت
فلول جيش ودمارا جعل الحسرة تكاد تفتك بي : دبابات مدمرة
ومدافع محروقة وسيارات عسكرية مقلوبة أو خاوية على
هيكلها •• كل هذه تشير الى ما فعله العدو بقواتنا المسلحة •

وصلت الاسماعيلية ، وتوجهت الى مبنى القيادة العامة
بها ، فوجدته غاصا بالضباط • كانت البلبلة تبدو على وجوه

كثير من الضباط ، ولم تكن هيئة القيادة العسكرية توحى بأنها على مستوى مواجهة عملية غزو كبير !

ورأيت عبد الناصر وكمال الدين حسين • كان عبد الناصر يبدو كأسد جريح أدمته الخناجر ، وكان يبدو على وجهه قلق واضح مما تخبئه الأيام • طلب منى عبد الناصر أن أعود الى القاهرة ، وأن أبقى بجوار عبد الحكيم ! وطلبت منه العودة الى القاهرة ، حتى يستطيع أن يدير دفة الدولة ، ولكنه رفض !

ولكنى ما أن عدت للقاهرة حتى عاد عبد الناصر اليها ، وعلمت من عبد الحكيم أنه هو الذى ألح عليه بالعودة الى القاهرة • وشعرت أن عبد الحكيم قد ساءه أن يسافر جبال الى القناة دون أن يخبره •

وهكذا كانت ثورة يوليو تواجه العدوان الثلاثى مواجهة مضطربة ، وقيادتها منقسمة وقد انعدمت الثقة بين أفرادها ، فى الوقت الذى كانت القيادة العسكرية قد فقدت سيطرتها على قواتها ، فقد انتشرت القوات العسكرية فى شوارع القاهرة ، وتركت منطقة القناة ! رغم الاتفاق على سحبها من سيناء للدفاع عن تلك المنطقة !

وكانت الخلافات بين أعضاء مجلس الثورة حول الموقف من العدوان قد وصلت الى طريق مسدود • كان عبد الناصر -

كما يقول صلاح نصر - « يكن الكره لصلاح سالم ، ويظن أنه هو الذى يحث عبد الحكيم عامر على التسليم » •

وفى أثناء ذهاب عبد اللطيف البغدادي الى عبد الحكيم عامر ركب مع صلاح دسوقي فى سيارته ، « واقترح صلاح دسوقي على البغدادي ونحن فى الطريق أن نقوم باعتقال صلاح سالم وأن نضعه فى منزلى ، وأن يقوم ضباط من البوليس بحراسته • ولكنى رفضت الفكرة » • وقد كان الحل الذى تم التوصل اليه هو ابعاد صلاح سالم الى السويس ليتولى الدفاع عنها ا

ولم يسأل أحد نفسه كيف يمكن لضابط برتبة « صاغ » أن يتولى الدفاع عن مدينه كبيره مثل السويس ؟ هل مات كل لواءات الجيش المصرى ولم يبق أحد ليتولى الدفاع عن السويس ؟



- ٨ -

درجت النظم السياسية على أن تتعلم من أخطائها ، اللهم
ثورة يوليو ! فقد ارتكبت أخطاء ١٩٥٦ مرتين ، وبنفس
أشخاص ! وكانت المرة الثانية في ١٩٦٧ ! وهو أمر فريد في
تاريخ ، ولكن له أسبابه التي سوف نعالجها ، وإن كان السبب
أكبر هو أن القيادة التي أثبتت فشلها في عام ١٩٥٦ كانت هي
سها القيادة التي قادت الجيش المصري الى هزيمة
ريّة ١٩٦٧ !

وثبت فشل قيادة ١٩٥٦ في ادارة دفة الحرب ليس من
ندياتنا وليس من استنتاجاتنا ، بل هو أمر تثبتته وثائق تلك
الحرب . فيذكر أحمد حمروش في كتابه الوثائقي عن قصة ثورة
وليو أن ادارة عبد الحكيم عامر للمعركة كانت دون مستوى
الأمرة الخطيرة التي كانت موجهة ضد مصر ، وأن مواجهته
لمعدوان لم تكن ايجابية ولا ديناميكية . ولم تكن شخصيته

(★) الولد الموافق ١٠/٢/ ١٩٩٥ .

المحبوبة ذات تأثير نافذ في ظروف المعركة • وكان تحريكه للقوات واعداده للخطط غير متناسب مع خطورة الموقف ، وذلك على الرغم من استعانته في ذلك الوقت في مكتبه بعدد من خيرة ضباط أركان الحرب !

ويضرب المثل باصدار عبد الحكيم عامر أمره لمحمد رياض محافظ بورسعيد ، بتولى قيادة القوات المسلحة في بورسعيد ، وهو مدنى متخرج في كلية الحقوق ! كما أن مساعده قائد القوات الجوية محمد صدقى محمود ترك طائراته فربسة للهجوم وهى رابضة على الممرات الجوية دون تحليل ، مما أدى الى تحطيمها فعلا في يوم واحد ، رغم أن خطة الاسرائيليين قد قدرت لذلك يومين !

وقد أثار ذلك غضب عبد الناصر • فيذكر عبد اللطيف البغدادى أنه فى اجتماع يوم السبت ١٠ نوفمبر ١٩٥٦ ، صدر عنه بعض الكلمات الجارحة عن الجيش • فقد شرح لعلى صبرى ، الذى كان يحضر الاجتماع ، ما يأخذه على الجيش وعلى عبد الحكيم ، وروح الاستسلام الذى كانت قد اتتبتهم ، والشلل الذى حدث لهم بعد دخول الانجليز والفرنسيين المعركة •

وكان من الطبيعى أن ينتقل السخط الى رجال القوات المسلحة • وهو ما صارع به عبد اللطيف البغدادى عبد الحكيم

عامر فى عشاء مع عبد الناصر يوم ١٥ نوفمبر ١٩٥٦ ، فقد أبلغه « بما كان يلمسه ويسمعه من ضباط القوات الجوية ، من أنهم فقدوا الثقة فى قيادتهم نتيجة للأخطاء التى حدثت » . وقال ان هذا يستلزم من المشير اتخاذ بعض الاجراءات بالنسبة لهؤلاء القادة ، حتى تعود الثقة بين القادة ومرءوسيههم ، وعليه أن يجرى تحقيقا مع القادة الذين تسببوا باهمالهم فى هذه الأخطاء ، والعمل على نقلهم الى جهات أخرى .

وقد تدخل عبد الناصر فى الحديث ، ضاربا المثل بصدق محمود رئيس هيئة أركان حرب القوات الجوية ، وقال : « مثلا ينقل الى وكيل وزارة الحربية لشئون الطيران » ؛ على أن عبد الحكيم عامر رفض محاسبة هؤلاء القادة ، بل أعلن أنه يلتمس لهم العذر فيما حدث ، « واذا كانوا قد أخطئوا ، فاعتبرنى مسئولا أيضا ، ومن المستحسن أن أستقيل أنا كذلك » !

وقد كان عبد الحكيم عامر مهذبا ، فلم يواجه عبد الناصر بأن حساباته الخاطئة هى التى زجت بمصر فى حرب مع دولتين كبيرتين بالاضافة الى اسرائيل ، وأنه لم يأخذ رأيه فى قرار تأميم شركة قناة السويس الذى يعرض مصر للحرب ، على الرغم من أنه قائد عام القوات المسلحة ، ولم يخطره به الا قبل

أعلان القرار • كما لم يواجهه بأنه عندما اتخذ القرار الذى
 زج بمصر فى الحرب ، ولم يكن الجيش المصرى مستعدا ، وانما
 كان لا يزال بعد فى مرحلة انتقال ، وغير مستقر على أرض ثابتة
 من نواحى التسليح والتدريب والتنظيم والعقيدة القتالية •

والمهم هو أن هذه القيادة العسكرية التى ارتكبت أخطاء
 حرب ١٩٥٦ كانت هى نفسها القيادة التى ارتكبت أخطاء
 حرب ١٩٦٧ ، وبمعنى آخر أنها كانت هى نفسها القيادة التى
 تركها عبد الناصر فى مواقعها لترتكب أخطاء حرب يونيو ١٩٦٧

فكما رأينا فقد رفض عبد الحكيم محاسبة القادة
 العسكريين الذين ارتكبوا أخطاء فى حرب ١٩٥٦ ، وزاد على
 ذلك أن فرض حمايته الشخصية عليهم ، بعد أن ربط مصير
 وجوده على رأس الجيش بوجودهم • ولم يملك عبد الناصر
 الا الادعاء ، دون أن يخطر بباله أنه يعرض مستقبل البلاد
 للخطر ، فلم تكن مصر فى حالة سلام يطمأن اليها ، وانما كانت
 فى حالة حرب مع اسرائيل يمكن أن تتجدد نيرانها فى أى وقت ،
 ففتكر نفس الأخطاء على يد نفس القيادة العسكرية !

وهو ما حدث فى حرب ١٩٦٧ ، فكما دفع عبد الناصر
 بالجيش المصرى فى حرب ١٩٥٦ بقرار تأميم شركة قناة السويس ،
 وهو غير مستعد لهذه الحرب ، فقد دفع بالجيش فى حرب ١٩٦٧

وهو غير مستعد أيضا ! وذلك بقرار سحب قوات الطوارئ الدولية من شرم الشيخ ، وقرار اغلاق خليج العقبة في وجه الملاحه الاسرائيلية •

وقد كرر المشير عامر نفس الأخطاء على نحو يثير الدهشة ! فقد كان يتصل بضباط مسئوليتهم محدودة في الجبهة ، ولا يتصل بقائد الجبهة الفريق عبد المحسن مرتجى ! وكان شمس بدران ، وزير الدفاع وقتذاك ، موجودا مع عبد الحكيم عامر بالمكتب طوال أيام الحرب ، وينام معه في سرير واحد في الغرفة الملحقة بمكتبه ، وكان واضحا جهله بإدارة العمليات الحربية ، فلم يكن له من عمل طوال الأزمة الا تقديم بعض الأوراق الى عبد الحكيم عامر الواردة الى مكتبه !

ويقول عبد اللطيف البغدادى انه - لهذا السبب - كان مدفوعا مع حسن ابراهيم وكمال الدين حسين ، للمقارنة بين شمس بدران ، وزير الدفاع المصرى ، وموشيه دايان ، وزير الدفاع الاسرائيلى ! كنت دائم القول لحسن وكمال : « تصورا أن شمس هذا هو المسئول عندنا ، والمقابل لموشى ديان عند اليهود » ؟

كما روى البغدادى عن ادارة عبد الحكيم عامر لمعركة ١٩٦٧ انه ظل « ثلاث ساعات » من مساء الاثنين ٥ يونية ، « مشغولا

بالاتصال بضابط في مطار العريش اسمه الديب ، ويطلب منه دفع مدفع ٥٧ ملم للدبابات من مطار العريش الى بلدة العريش ، لأن ذبابات العدو كانت قد وصلت اليها . وكان عبد الحكيم يهدده بأنه سيقنتله ان لم يرسل المدفع الى بلدة العريش ! حتى أصبح موضع تفكه بيننا ، اذ كيف يمكن لقائد عام كعبد الحكيم عامر أن يشغل نفسه بموضوع مدفع طوال هذا الوقت ؟ وأين القيادات المحلية ؟ وتذكرنا عام ١٩٥٦ ، عام معركة السويس ، وكيف كانت تدار ؟

وفي الواقع أن المشير عامر كان يدير المعركة على طريقة ادارة البلاد ! فلم يعتمد على أركان حربه ، وانما اعتمد على هيئة ضباط مكتبه التي كانت تتكون من المنتفعين والمتسلطين على رقاب العباد ، وكلهم نسوا الفن الحربي ، لاتجاه اهتماماتهم الى اتقان فن الرقابة على الجماهير .

وقد اعترف الفريق محمد فوزي بأن « القيادة الفردية البيروقراطية العسكرية ، هي التي سببت الهزيمة يوم ٥ يونيو ، كما أن انهيار المشير عبد الحكيم عامر شخصيا ، واصداره قرار الانسحاب ، قلب الهزيمة الى نكسة » ا

وقد كان قرار الانسحاب أنموذجا للقرارات التي كانت تتخذ في ذلك الحين وأدت الى النكسة ، بل كان فضيحة عسكرية

تضاف الى فضائح ثورة يوليو العسكرية ، التى استولت على الحكم فى يوم ٢٣ يوليو بحجة هزيمة الجيش المصرى فى حرب ١٩٤٨ ، فاذا بها ترتكب من الأخطاء العسكرية ما تضاءلت الى جانبه أخطاء حرب ١٩٤٨ !

ولنداع الفريق محمد فوزى يروى بنفسه فضيحة قرار الانسحاب يوم ١٩٦٧/٦/٦ * فيقول :

« طلبنى المشير بعد ظهر يوم ١٩٦٧/٦/٦ ، قائلاً لى : « عايزك تحط لى خطة سريعة لانسحاب القوات من سيناء الى غرب قناة السويس » * ثم أضاف : « أمامك ٢٠ دقيقة فقط » !

أى أن معلومات المشير العسكرية أقنعت به أنه فى الامكان وضع خطة سريعة لانسحاب القوات من سيناء فى وقت لا يتجاوز ٢٠ دقيقة !

ويقول الفريق محمد فوزى انه فوجيء بهذا الطلب ، « اذ إنه أول أمر يصدر الى شخصيا من المشير ، الذى كانت حالته النفسية والعصبية منهارة * بالاضافة الى أن الموقف لم يكن يسمح بالمناقشة أو الجدل ، أو معرفة دوافع التفكير فى مثل هذا الأمر * فقد كانت القوات البرية فى سيناء متماسكة

حتى هذا الوقت ، فيما عدا قوات الفرقة السابعة مشاة ، ولم يكن هناك ما يستدعى اطلاقا التفكير في انسحابها ! » ♦

« أسرع الى غرفة العمليات ، حيث استدعيت الفريق أنور القاضي ، رئيس الهيئة ، واللواء تهامى ، مساعد رئيس الهيئة ، وجلسنا فترة قصيرة نفكر في أسلوب وطريقة انسحاب القوات ، بعد أن أعطيت طلب المشير الى كليهما » ♦

« و انتهى بنا الموقف الى وضع خطوط عامة جدا ، و اطار واسع لتحقيق الفكرة ♦ ودونها اللواء تهامى فى ورقة ♦ وكان هذا الاطار يحدد خطوط انسحاب القوات وتوقيت التمرکز فى هذه الخطوط » ♦

« توجهنا نحن الثلاثة الى المشير ♦ وكان منتظرا واقفا خلف مكتبه ، واضعا احدى ساقيه على كرسى المكتب ، ومرتكزا بذقنه على ساقه الموضوعه فوق الكرسى » ♦

« وبدأ اللواء تهامى فى القراءة بقوله : « تترد القوات الى الخط كذا يوم كذا ، ثم الى الخط كذا يوم كذا ، وأن يتم ارتداد القوات بالتبادل على هذه الخطوط ، لحين وصولها الى الخط الأخير غرب قناة السويس بعد أربعة أيام من يوم البدء

فى الانسحاب - أى أن يتم الانسحاب فى أربعة أيام وثلاث ليال « •

« وعندما سمع المشير الجملة الأخيرة الخاصة بتحديد مدة الانسحاب ، رفع صوته قليلا موجه الحديث لى : أربعة أيام وثلاث ليال يا فوزى ؟ أنا خلاص أعطيت أمر الانسحاب « ا ثم دخل الى غرفة تومه بطريقة هستيرية ، بينما انصرفنا نحن الثلاثة مندهشين من حالة المشير ! « •

- ٩ (*) -

كان استطرادنا للحديث عن حرب ١٩٦٧ أمرا فرضه تكرار أخطاء ١٩٥٦ ، على يد نفس الأشخاص ، وهو ما لا نرى مثيلا له في التاريخ ، وهو ما يبرهن على حقيقة تاريخية هي أن العهد الناصري لم يكن مؤهلا لأن يفود مصر الى أى نصر !

وعلى كل حال فقد رأينا في مقالاتنا السابقة كيف تهاقت القيادة العسكرية في وجه العدوان الثلاثي ، وتملكتها روح الاستسلام ، وفقدت سيطرتها على قواتها ، فانتشرت القواب العسكرية في شوارع القاهرة تاركة منطقة القناة التي كان مقررا أن تدافع عنها ! ووصلت الخلافات بين أعضاء مجلس الثورة حول الموقف من العدوان الى طريق مسدود ، حتى جرى التفكير في اعتقال صلاح سالم ولكن رؤى التخلص منه عن طريق أن يتولى الدفاع عن مدينة السويس !

(★) الوند الموالي ١٠/١/١٩٩٥ .

وقد كان من حسن حظ مصر أنه في الوقت الذي تخاذلت فيه قيادات ثورة يوليو وتملكها الرعب من المصير ، واستقر رأيها على الانتحار ، وأعدت بالفعل سياييد البوتاسيوم لهذا الغرض ، كان الشعب المصري متماسكا أمام الخطر ، ولم يتطرق الجزع الى نفسه ، وكان يعطى قيادته درسا في الصمود ا

وهذا ما يعترف به عبد اللطيف البغدادي ، الذي يقول انه في يوم الجمعة ٢ نوفمبر عندما ذهب الى بيته لتناوله طعام الغداء ، اتصل به جمال عبد الناصر طالبا منه الذهاب اليه في مكتبه بمجلس الوزراء ، « وشعرت من نبرات صوته أن هناك شيئا يضايقه وله خطورته ، ولذلك نزلت مباشرة دون أن أتناول غدائي . ولما وصلت الى هناك لم يكن بالمكتب غير جمال وعبد الحكيم .

« وأخذت أتحدث اليهما عن روح الشعب ، وتصرفاته أثناء الغارة الجوية التي شاهدها عندما كنت متوجها من القيادة الى الدقي ، واستهتار الشعب بهذه الغارات ، ومعنوياته المرتفعة . وبدأ عبد الحكيم قائلا ان الاستمرار في المعركة سيترتب عليه تدمير البلاد وقتل الكثيرين من المدنيين ، وانه يفضل تفاديا لهذا التدمير أن نطلب ايقاف القتال ا » .

ومعنى هذا الاعتراف من البغدادي أنه في الوقت الذي

كان الشعب المصرى يظهر استهاته بالغارات الجوية ، وترتفع
معنوياته فى وجه الخطر ، كانت القيادة العسكرية تفكر فى
التسليم !

ومن حسن الحظ أن الشعب لم يكن يعلم بما يدور فى
ذهن قياداته العسكرية ، وأنه صدق قيادته السياسية عندما
ذهب عبد الناصر فى نفس اليوم الى الجامع الأزهر ، وخطب
فى المصلين ، وأعلن عن أصرار مصر على القتال •

وحتى عندما شعر عبد الناصر بحجم الكارثة وهو فى طريقه
الى الاسماعيليه مع عبد اللطيف البغدادى ، بعد ما شاهد العربات
والدبابات المحطمة على جانبى الطريق ، وقال : لقد هزمتى
جيشى - فان الشعب المصرى لم يهزمه ! ففى صباح اليوم التالى،
وعلى الرغم من أن العدو كان قد أنزل جنود مظلاته فى بورسعيد،
فى محاولته للاستيلاء على المدينة ، فانه عندما وقف عبد الناصر
وعبد اللطيف البغدادى فى الصباح فى احدى فرندات مبنى
القيادة ، كانت مشاهدة الأهالى كافيه لبث الأمل فى نفسيهما بعد
يأس ! فيقول عبد اللطيف البغدادى :

« وقفنا فى احدى فرندات مبنى القيادة ، فشاهدنا سكان
المدينة وهم يسرون فى شوارعها وكأن الحياه طبيعيه ،
وليست الحرب على بعد عشرات الكيلو مترات منهم ! وكان كل

منهم يحمل بندقيته على كتفه ، حتى البائع المتجول كان يجلس على الرصيف ، وبندقيته الى جواره ! فاشعرتنا هذه الصورة بالأمل ، وأحسنا أن الجو في الاسماعيلية يختلف تماما عن الجو الذي يحيط بنا في مبنى مجلس الثورة بالقاهرة ، وربما يكون ذلك ناتجا عن انزالنا في مبنى القيادة لا نرى أحدا ولا نسمع الا أخبار القوات العسكرية وانسحابها من سيناء ، وما حدث لها أثناء انسحابها ومدى خسائرها . ولكن رؤيتنا الأهالي الاسماعيلية ، وهم أقرب الناس الى منطقة القناة ، وهم يسبرون بهذا الهدوء وهذه الثقة وكأنهم لا يتوقعون قتالا ، ساعدنا على استرداد بعض معنوياتنا التي كنا قد فقدناها ، وبدأت الثقة تعود الى نفوسنا !

وفي أثناء عودة عبد الناصر مع عبد اللطيف البغدادي الى القاهرة ، لاحظ عبد الناصر أنهما عادا ثانية حتى دون أن يمرا على القوات التي بالاسماعيلية . ورد عبد اللطيف البغدادي قائلا : « ان هذا لا يهم ، وكل ما يهمني الآن أنني قد شعرت براحة بعد ما كنت أحس بالضيق ، وربما يكون ذلك بعدما شاهدنا الناس بالاسماعيلية . وائني أحس الآن براحة وطمأنينة ! » . فأمّن عبد الناصر على كلامه .

ومن هنا حين أطلق عبد الناصر قوله : « ان الشعب هو المعلم » كان يعنيه حقيقة ، فلم تنكسر روح الشعب أبدا وهو

يواجه معركة يائسة بقيادة فاشلة ضد قوات دولتين عظميين
ودولة اسرائيل !

ومن هنا جاءت مقاومة الشعب في بورسعيد للغزو ! فعلى
الرغم من أن عدد طلعات العدو الجوية التي قامت بها طائراته
فوق بورسعيد بلغت يوم ٥ نوفمبر ١٩٧٣ طلعة ، فإن المقاومة
الشعبية ظلت مستمرة في المقاومة بشكل يدعو الى الفخر رغم
عدم توافر الامكانيات !

فلقد ذكرنا أن بورسعيد كانت خارج خطة الدفاع المصرية
الأصلية ، التي كانت قد بنيت على أساس الدفاع عن غرب
فرع رشيد . وكان اعتقاد القيادة العسكرية المصرية أن
بورسعيد مدينة يتعذر الدفاع عنها ، نظرا لكونها محاطة ببحيرات
ومستنقعات ، وانما يمكن مهاجمة القوات المعتدية عندما تتدفق
على الطريق الضيق الذي يصل المدينة بالاسماعيلية والسويس .

ولذلك كانت القوات المسلحة المصرية في المدينة محدودة .
فوفقا لحمروش فإن هذه القوات كانت تتكون من اللواء السابع
والكتيبة الرابعة مشاة ، الى جانب المدفعية الساحلية والمضادة
للطائرات . وان كان العميد محمد كمال عبد الحميد يذكر أن
هذه القوات كانت تتكون من سريتين من مشاة الكتيبة ٢٧٥ ،
وكتيبة المشاة الرابعة التي كانت قد وصلت توا من سيناء بعد

أن تقرر الانسحاب العام ، ثم الكتيبة رقم ٢٩١ مشاة التي كانت قد وصلت بورسعيد يوم ٢١ أكتوبر ، هذا بالإضافة الى خمس سرايا أخرى ، وكتيبة حرس وطني ، وفرق المقاومة الشعبية ، وبطارية مدافع صاروخية •

وعلى كل حال ، فإن هذه القوات تبعثت - كما يقول حمروش - عندما نزلت القوات البريطانية في مطار الجميل ، وذلك نتيجة لانحياز القيادة المسؤولة ثم هربها الى بورسعيد ا وقد تم فصل الضباط الأربعة المسؤولين من الجيش بعد انتهاء المعركة •

وعندما تشتتت القوات طلب الضباط الصغار من شمس بدران ، مدير مكتب عبد الحكيم عامر الذي كان يفتش على الحرس الوطني في المنصورة ، السماح للشيوخيين بالدخول الى بورسعيد لأنهم أقدر على فهم نفسية الجماهير ، وقد وافق على ذلك ، ورفع الحظر بعدها عن تحركات الشيوخيين • وكان رجال المباحث العامة خلال القتال يراقبون تحركات الشيوخيين ، في الوقت الذي هرب فيه قائد المباحث العامة من بورسعيد ، وسلم البوليس أسلحتهم كاملة •

وكان أفراد الشعب في بورسعيد قد طالبوا منذ اللحظة الأولى للعدوان الاسرائيلي ، بالسلاح ، ولكن تعطل ذلك حتى

يتم تحت اشراف المباحث العامة بشكل روتيني ومظهري وغير فعال ! ولكن مع هبوط جنود المظلات وصل قطار محمل بالذخيرة والسلاح الى محطة بورسعيد ، وبدأ توزيع السلاح على الأهالي دون نظام . ولما كان السلاح فى الشحم ، والناس غير مدربة أو منظمة ، تتحرك وراء أى صوت يدعوها للهجوم على العدو فى أى مكان ، فان ذلك قلل من فاعليتها ، وعرضها لبعض الخسائر .

وهكذا كانت المقاومة الشعبية هى التى تقاوم فى بورسعيد فى حين توقف الجيش عمليا عن القتال بعد انسحابه من سيناء واعداده للدفاع عن مدينة الاسماعيلية تحت قيادة كما الدين حسين . ومعنى ذلك أن المقاومة الشعبية ، وليست القوات المسلحة ، هى التى أعطت بورسعيد وجهها الايجابى كمدينة للبطولة والصمود .



على كل حال ، وفى الوقت الذى كانت قوات العدو تحتل بورسعيد ، كانت قوات اسراييل قد تمكنت من احتلال سيناء كاملة ، ووصلت الى شرم الشيخ الذى هو أكبر أهدافها ، لتفتح أخطر صفحة فى الصراع العربى الاسرائيلى ، وأكثرها دموية !

وكانت خطة الدفاع عن شرم الشيخ قد بنيت على مواجهة احتمالات حصار طويل ، وليست على أساس اقامة تحصينات ووسائل قتال لصد المهاجمين * ويفسر ديان ذلك بأن القيادة المصرية كانت قد أخذت في الحسبان أن اسرائيل سوف تحاول احتلال مضيق تيران بطريق الجو والبحر ، ولم تكن تتوقع هجوما من جانب قوات جيش يأتى بطريق البر * لذلك قام التركيز الأساسى لخطة دفاع شرم الشيخ على حفر مستودعات تحت الأرض ، وتخزين المياه والأغذية والوقود والذخيرة لشهور عديدة ، كما بنى ميناء عميق وشق مطار وأقيمت محطة كهربائية * ولكن الحفر والتلغيم والتسوير والمراكز المسيطرة على الداخل لم تكن قوية الى حد تستطيع فيه مواجهة هجوم شديد من الجنوب أو من الشمال *

وقد أعدت اسرائيل لاحتلال شرم الشيخ لواء مشاة ، قطع مسافة ثلثمائة كيلو مترا ١ ليفاجئ القوات المصرية من البر ١ وقد تحرك هذا اللواء ، وهو اللواء التاسع ، من بير سبع فجر يوم ٣١ أكتوبر واستغرق ثلاثة أيام لكى يصل الى شرم الشيخ * فقد وصل الى رأس النقب يوم أول نوفمبر ، وفى اليوم التالى ٢ نوفمبر تحرك من رأس النقب متجها الى الجنوب على طول الساحل الغربى لخليج العقبة ، ولم تكن معه قوات مدرعة ، ولذلك قامت القيادة الاسرائيلية بتعزيزه بوحدات من

لواء المظلات كى تهاجم موقع شرم الشيخ من الجنوب فى مقابل هجوم اللواء من الشمال • وقد وصلت هذه الوحدات بالمركبات على طريق رأس السدر - أبو زينة - فى الوقت الذى نزلت وحدة ثانية من المظليين فى مطار الطور واستولت عليه ، وكان من المتوقع أن تصل قوات المظليين من رأس السدر الى شرم الشيخ فى وقت واحد مع قوات اللواء التاسع مشاة •

على أنه فى ذلك الحين كانت القيادة المصرية قد أصدرت أوامرها بالانسحاب العام من سيناء ، وشمل هذا الأمر بالفعل موقع شرم الشيخ !



- ١٠ - (*)

في مقالنا السابق كنا قد أبرزنا التناقض الحاد بين موقف قيادة ثورة يوليو من الغزو وموقف الشعب المصري . ففي حين انهارت القيادة العسكرية في وجه العدوان الثلاثي وتخاذلت ، فقد صمد الشعب المصري في وجه الخطر واستهان بالغارات الجوية ! وهو ما يعني أن المنتصر الحقيقي في معركة ١٩٥٦ كان هو الشعب المصري ، رغم أنف قيادته العسكرية ! وقد ضربنا أمثلة لذلك من واقع مذكرات عبد اللطيف البغدادى ، فقد كانت الصيحة التى أطلقها الشعب المصرى في ذلك الحين هى صيحة : « حنحارب » ، وكانت أغنيات : « والله زمان يا سلاحى » ، « والله أكبر » تتردد فى كل مكان .

أما النقطة الثانية التى أبرزناها فهى معركة بورسعيد ا
ففى حين تخاذلت القيادة العسكرية وتبعثرت القوات
المصرية نتيجة لهرب القيادة المسئولة من بورسعيد ، وهو ما أدى

(★) - الوعد الموافق ١٠/١٦/ ١٩٩٥ .

الى فصل الضباط الأربعة الذين تولوا هذه القيادة من الجيش بعد انتهاء المعركة - بقيت المقاومة الشعبية لتخلد بطولة بورسعيد *

ويمكن القول ان المعركة الوحيدة التي حارب فيها الجيش المصرى كانت هي معركة شرم الشيخ * فلقد رأينا كيف أعدت القيادة الاسرائيلية لاحتلالها لواء مشاة ، قطع ثلثمائة كيلو مترا لكي يفاجئها من البر ، بعد أن كانت تتوقع الهجوم من الجو * وقد وصل هذا اللواء يوم ٤ نوفمبر ١٩٥٦ وتبدت أمامه المواقع المصرية فى رأس نصرانى وشرم الشيخ *

فى ذلك الحين كانت القيادة المصرية قد أصدرت أوامرها بالانسحاب العام من سيناء فى مساء الأربعاء ٣١ أكتوبر * وقد شمل هذا الأمر بطبيعة الحال موقع شرم الشيخ ، على أن هذا الأمر تعذر تنفيذه بالنسبة لهذا الموقع ، نظرا لعدم كفاية وسائل النقل لدى تلك القوة ، وهو ما دعا قائدها الى اقتراح بقائها والدفاع عن الموقع حتى تصل اليه وحدات النقل *

على أنه فى تلك الأثناء كانت القوات الاسرائيلية قد أتمت حصارها لموقع شرم الشيخ عن طريق احتلال الطور ، فسدت بذلك الممر البرى من مضيق تيران الى مصر * وبذلك لم يجد قائد القوة بدا من اخلاء رأس نصرانى وتركيز قواته فى شرم الشيخ ، رغم مزايا خط رأس نصرانى فى تحصيناته وفى الدفاع المضاد

للطائرات الذى كان متفوقا على ذلك الذى كان فى الخط الثانى شرم الشيخ • فقد كان الميناء والمطار يقعان فى شرم الشيخ • ولكن قبل انسحاب القوة المصرية من رأس نصرانى ، قامت بنسف المدافع الساحلية التى تسيطر على المضيق بين الساحل وجزيرة تيران والتى كانت تمنع مرور الملاحة الاسرائيلية الى ايلات •

على أنه فى تلك الأثناء كانت السفن البريطانية قد تجمعت فى مدخل خليج العقبة لفرض الحصار البحرى على شرم الشيخ • وفى الوقت نفسه أخذت القوات الجوية المعادية فى شن غاراتها على الموقع • وبذلك تكون القوة المصرية فى شرم الشيخ قد تم حصارها برا وبحر وجوا • وهذا ما أبرق به قائد هذه القوة الى القيادة العامة فى مصر يوم ٣ نوفمبر سنة ١٩٥٦ •

وقد كان على اللواء الاسرائيلى فى ذلك الحين اما الهجوم على شرم الشيخ فى عملية ليلية ، واما القيام بذلك مع الفجر • وقد تغلب رأى العملية الليلية حتى لا تتاح الفرصة للوحدة المصرية التى نقلت من رأس نصرانى الى شرم الشيخ فى الليلة السابقة ، للاستعداد •

وعلى ذلك بدأ هجوم اللواء الاسرائيلى بقوة كتيبة بعد منتصف الليل لاحتلال موقع تحتله سريتان مصريتان فى الجانب

الغربي من الخط • ولكن القوة الاسرائيلية لم تنجح في فتح
ثغرة في حقل الألغام ، في الوقت الذي تعرضت فيه لنيران
رشاشات القوة المصرية • وفي خلال وقت قصير تكبدت القوة
خسارة ٢٢ مصابا و ٦ من قادة الجماعات وقتيل واحد • وبذلك
فشل الهجوم الليلي ، واضطرت القوة الى الانسحاب •

على أن الهجوم الاسرائيلي استؤنف مع أول ضوء النهار
في اليوم التالي ، بمساعدة فيران الهاونات الثقيلة عيار ١٢٠ مم ،
واشتراك سلاح الطيران الاسرائيلي والعربات نصف المجنزرة ،
في الوقت الذي كانت هناك كتيبة أخرى تهاجم في الجناح
الشرقي • واستمر القتال حتى الساعة التاسعة صباحا حين
استسلم آخر موقع للمصريين في شرم الشيخ •

وقد اعترف موسى ديان بأن « العنصر الحاسم في هذا
التسليم من جانب القوة المصرية كان السلاح الجوي • فلم
يكن لدى المصريين سلاح فعال ضد الطائرات الاسرائيلية » •
وهذا ما يؤكد العمد محمد كمال عبد الحميد • فقد ذكر انه
« لم يكن مع القوة المصرية مدفع واحد مضاد للطائرات يصلح
للاشتباك معها » ١ ووصف الغارات الجوية على قوة شرم الشيخ
بأنها « كانت اكتساحات عنيفة مركزة » •

وقد اعترف بن جوريون بما أبدته القوة المصرية في شرم

الشيخ من بسالة نادرة • ففى خطابه أمام الكنيست يوم ٧ نوفمبر قال : « لقد أبدى المصريون شجاعة عظيمة عجيبة حتى لقد كان من الصعب علينا أن نتصور أو نصدق أنه فى امكاننا القضاء عليها • وسقطت منا فى هذه المعركة الرهيبة ضحايا غالية جدا علينا • لقد كانت أياطنا فى هذه المعركة أيام فزع وذعر أمام هول القوة المصرية » •

وهذا يفسر تلك الحقيقة التاريخية فى معركة ١٩٥٦ ، وهى أن معركة شرم الشيخ كانت هى المعركة المستمرة الوحيدة التى ظلت دائرة مع قوات العدوان الثلاثى حتى وقف اطلاق النار •

ومع ذلك فمن الطريف أن هذه المعركة الباسلة التى شرفت العسكرية المصرية وقعت رغم أنف القيادة العسكرية ! ففى ليلة المعركة وصلت الى قائد قوة شرم الشيخ اشارة من القائد العام للقوات المصرية يقول فيها : « اذا لم يمكنك الاستمرار فى المقاومة حتى أول ضوء ، فانى آمرك بأن تسلم • • تخلص من جميع الأسلحة حتى البنادق والطبنجات ، ولو بالقائها فى البحر • تدمير جميع المنشآت اذا أمكن » ا

على أن القائد المصرى آثر القتال على التسليم ، مسطرا الصفحة الوحيدة المضيئة فى الحرب بين القوات المصرية والقوات الاسرائيلية فى حرب ١٩٥٦ ا

على أن احتلال اسرائيل لشرم الشيخ فى يوم ٥ نوفمبر سنة ١٩٥٦ كان أكبر كارثة لحقت بمصر حتى ذلك الحين ، وثمنا باهظا لقرار تأميم شركة قناة السويس الذى اتخذها عبد الناصر منفردا بطريقة استعراضية دون أن يعد له أية عدة عسكرية لحمايته ، ومورطا جيشه فى حرب غير متكافئة مع قوات دولتين عظميين مع اسرائيل ، بكل ما ترتب على هذه الحرب من تدمير كل ما تزود به الجيش من سلاح جديد ، وضياع مغزى صفقة الأسلحة الروسية التى هزت الأمة العربية هذا ! وان كان دمار الأسلحة السوفيتية فى حرب ١٩٥٦ كان ارهاصا بدمار كل الأسلحة السوفيتية التى تلقتها مصر من الاتحاد السوفيتى فى
يونية ١٩٦٧ !

فعلى الرغم من أن تدخل الأمم المتحدة فى ذلك الحين كان قد أفلح فى اصدار قرار يوم ٢ نوفمبر ١٩٥٦ بوقف اطلاق النار ، كما أدى الى انشاء قوة طوارئ دولية فى يوم ٤ نوفمبر « لضمان وقف الأعمال الحربية » والاشراف عليها ، وأدى أيضا الى قبول كل من بريطانيا وفرنسا وقف اطلاق النار وسحب قوات العدوان لدى وصول القوات الدولية فان اسرائيل رفضت تنفيذ القرار الا بعد مرور الملاحه الاسرائيلية عبر مضيق تيران وخليج العقبة ، كجزء متم لترتيبات وقف اطلاق النار .

ففى لقاء جولدا مائير وزيرة خارجية اسرائيل مع
ليستر بيرسون وزير خارجية كندا ، أكدت للوزير الكندى
« أننا لن نسمح للمصريين بالعودة الى احتلال الجزء الذى
يسيطر على مداخل خليج العقبة • وقد احتلنا هذه الجزر لنبقى
على بوابة مينائنا الجنوبي الحيوى ايلات ، مفتوحه أمام
تجارتنا » • وتساءلت : « ما الذى يدفعكم الى الضغط علينا
للانسحاب ؟ ليس ثمة ما يضمن لنا أن يسمح عبد الناصر
للملاحة الاسرائيلية بعبور القناة ، أو يضمن لنا فتح الطريق
أمام الملاحة الاسرائيلية الى ايلات عبر خليج العقبة » •

وعلى ذلك فقد أخذت اسرائيل تؤخر انسحابها حتى تكسب
ضمانات بحق مرور سفنها عبر خليج العقبة • فطبقا لتقرير
السكرتير العام للأمم المتحدة يوم ١٥ يناير ١٩٥٧ عن انسحاب
القوات الاسرائيلية فى تاريخ ١٤ يناير ١٩٥٧ ، أعلن أنه تسلم
من الحكومة الاسرائيلية خطابا يفيد أنها فى ٢٢ يناير ١٩٥٧
ستكون قد أتمت سحب جميع قواتها من شبه جزيرة سيناء ،
ما عدا منطقة شرم الشيخ !

على أنه فى يوم ٢٣ يناير ١٩٥٧ أعلن بن جوريون فى
الكنيست أن اسرائيل لا تفكر فى احتلال سيناء بصورة دائمة ،
ولكنها تريد فقط الضمانات الكافية والناجعة بعدم عرقلة حرية

الملاحة الاسرائيلية والدولية • وقال ان حرية الملاحة الاسرائيلية في مضائق تيران والبحر الأحمر يمكن تأمينها : اما بتوقيع اتفاق يضمن حرية الملاحة الاسرائيلية بين اسرائيل والدول العربية الواقعة على خليج العقبة ، وهي الأردن والسعودية ومصر ، واما ببقاء القوات الدولية في شرم الشيخ لتأمين حرية الملاحة ، وبحيث لا تغادر المنطقة الا بعد التوصل الى تسوية شاملة بين مصر واسرائيل ، أو التوصل الى تسوية خاصة بحرية الملاحة في الخليج توافق عليها اسرائيل •

وقد استطاعت اسرائيل في ١١ فبراير الحصول • الولايات المتحدة على تصريح بأن مضيق تيران وخليج العقبة يعتبران ، من وجهة النظر الأمريكية ، مياها دولية ، الى أن تقرر العكس هيئة قضائية دولية •

وفي الوقت نفسه أبلغت اسرائيل السكرتير العام للأمم المتحدة « أننا لن نسمح ثانية للمدافع المصرية في مضائق تيران بمنع سفننا من عبور خليج العقبة ، وأننا سنشق طريقنا بالقوة • وأكدت استعداد اسرائيل لخوض حرب ثانية اذا فرضت عليها عقوبات اقتصادية بسبب الامتناع عن الانسحاب من شرم الشيخ » •

عندئذ اقترح السفير الكندي ليستر بيرسون على هامر شولد

تطوير مهمة قوات الطوارئ الدولية ، من مجرد الاشراف على وقف اطلاق النار والانسحاب بعد ذلك ، الى مهمة دائمة * وقد قبل هامرشولد دخول قوات الطوارئ الدولية شرم الشيخ للحفاظ على السلام والأمن بعد انسحاب القوات الاسرائيلية ، ولكنه رفض اعطاء ضمانات لاسرائيل بحرية الملاحة في خليج العقبة لمخالفة ذلك لمهمة القوة الدولية *

ولقد كان بسبب رفض اسرائيل الانسحاب من شرم الشيخ بدون ضمانات بحرية ملاحتها ، ورفض هامرشولد اعطاء هذه الضمانات ، أن دخلت هذه القضية في مأزق خطير *

- ١١ -

رأينا في مقالنا السابق كيف رفضت اسرائيل الانسحاب من شرم الشيخ بدون أن تحصل على ضمانات بحرية ملاحتها في مضيق تيران بين ميناء ايلات والبحر الأحمر • ولكن هامرشولد ، السكرتير العام للأمم المتحدة رفض اعطاء هذه الضمانات لأنها تتجاوز امكاناته • وبذلك دخلت القضية في مأزق خطير •

فقد كان الجيش المصرى محطما في ذلك الحين ، بما يعنى أنه لم يكن فى وسع مصر اجبار اسرائيل على الانسحاب من شرم الشيخ ، وفى الوقت نفسه كانت اسرائيل قد حصلت من الولايات المتحدة على تصريح بأنها تعتبر مضيق تيران وخليج العقبة مياها دولية الى أن تقرر العكس هيئة قضائية دولية • وكانت فرنسا تعرض اسرائيل على البقاء فى سيناء وتعرض استعدادها لمساعدتها اذا تطلبت الظروف !

(★) الوفد الموافق ١٠/٢٣ / ١٩٦٥ •

لذلك لم يجد عبد الناصر بدا من الاذعان لمرور الملاحه الاسرائيلية فى مضيق تيران • ويقول أحمد حمروش انه تحت مظلة الأمم المتحدة ، وبحضور وموافقة وزراء خارجية مصر واسرائيل والولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا ، تقرر الجلاء للجميع مع الشروط الآتية :

أولا - وضع ستار دفاعى من قوات الأمم المتحدة على الحدود بين القوات المصرية والاسرائيلية •

ثانيا - فتح مضيق تيران المسيطر على ميناء ايلات ، للملاحه والتجارة الاسرائيلية •

ثالثا - اخلاء شرم الشيخ لهيئة الرقابة الدولية •

رابعا - الاتفاق على أنواع محددة من الأسلحة لا تتعدى حدودا مرسومة جهة الشرق •

على أنه من الواضح أنه اذا كان مثل هذا الاتفاق قد تم ، فانه لم يكن اتفاقا رسميا مكتوبا ، والا لعرفه الشعب المصرى ! فتقول « جولدا مائير » فى مذكراتها انه كان « اتفاقا شفويا » ، وقد تم به التوصل الى حل يقوم على أن تنسحب القوات الاسرائيلية من قطاع غزة ومن شرم الشيخ ، فى مقابل « افتراض » ان الأمم المتحدة سوف تضمن للملاحه الاسرائيلية

حق المرور فى مضيق تيران ، وعدم عودة الجنود المصريين الى قطاع غزة !

وبناء على ذلك أعلنت جولد مائير فى الساعة الثالثة من بعض ظهر يوم أول مارس فى الجمعية العمومية ، أن اسرائيل ، « نظرا لبعض التوقعات والافتراضات ، ستسحب بسرعة من قطاع غزة وشرم الشيخ » •

وقد تضمن خطاب جولدا مائير أن هدف اسرائيل الوحيد هو اقرار حرية الملاحة لها وللدول الأخرى فى خليج العقبة ومضيق تيران بعد انسحاب القوات الاسرائيلية • وأبرزت الأهمية القومية الحيوية لحرية الملاحة بالنسبة لاسرائيل ، وقالت ان اقتصادها واقتصاد دول بحرية عديدة يتوقف على التجارة والملاحة بين البحرين الأحمر والمتوسط •

ولم يحل الرابع من مارس حتى كان ديان قد سلم منطقة شرم الشيخ وقطاع غزة • وفى ٢٧ مارس ١٩٥٧ أعلنت اسرائيل أنها سوف تمارس حقها فى الملاحة فى مياه خليج العقبة ومضيق تيران ، وأنها لا تجد مبررا للالتجاء الى محكمة العدل الدولية لاستطلاع رأيها القانونى فى الطابع الدولى لقناة السويس ومضيق تيران !

ومعنى ذلك أن إسرائيل اعتمدت على الأمر الواقع الذى فرضته قوتها العسكرية فى فرض حرية ملاحتها فى مضيق تيران، بدليل أنه عندما أغلق عبد الناصر مضيق تيران فى مايو ١٩٦٧ لم تلجأ الى محكمة العدل الدولية ، وانما فتحت المضيق بالحرب !

وهذا ما قرره إسرائيل بعد نصف شهر من انسحابها من شرم الشيخ • ففى يوم ١٠ مايو أعلنت جولدا مائير أن أى تدخل ضد السفن التى تحمل العلم الاسرائيلى والذى تمارس حق « المرور البرئ » فى خليج العقبة ومضيق تيران ، سيعتبر فى نظر إسرائيل اعتداء يسمح لاسرائيل بأن تستخدم ضده حق الدفاع المشروع الذى نص عليه ميثاق الأمم المتحدة » !

وهكذا أعطى قرار عبد الناصر غير المحسوب بتأميم شركة قناة السويس ، لاسرائيل أكبر مكسب حصلت عليه منذ احتلالها ميناء أم الرشراس فى مارس ١٩٤٩ الذى حولته الى ميناء ايلات ، فقد أتاح لها أن تتمتع - لأول مرة - بمزايا موقعها على بحرين : البحر المتوسط والبحر الأحمر •

وهو ثمن باهظ حقا ، لأن حصول إسرائيل على حق مرور ملاحتها التجارية من مضيق تيران هو الذى جعل منها دولة كبرى تحتل أراضى ثلاث دول عريضة ، بعد أن كانت قبل قرار تأميم

شركة قناة السويس مجرد دولة صغيرة تحاصرها مصر بحريا عن طريق اغلاق منافذها الشمالية الى البحر الأحمر : وهى خليج العقبة ، وقناة السويس •

فحتى ذلك الحين ، وعلى الرغم من أن الملاحة الاسرائيلية كانت تستطيع المرور من باب المندب ، الا أن هذا المرور لم يكن يجديها بحال ، طالما أن سفنها لا تستطيع الوصول الى ايلات ، وطالما أنها تضطر الى الدوران حول افريقيا • لذلك كانت سيطرة مصر على خليج العقبة وقناة السويس كافية فى حد ذاتها لحرمان اسرائيل من المرور فى البحر الأحمر ! وكان الوجود المصرى فى شرم الشيخ كافيا لالغاء الوجود الاسرائيلي فى ايلات •

ولذلك يعتبر هذا الاذعان من جانب عبد الناصر لمرور الملاحة الاسرائيلية من خليج العقبة أكبر اذعان لميزان القوى ، وهو أشبه باذعان لينين لشروط ألمانيا فى برست ليتوفسك فى الحرب العالمية الأولى ، مع فارق وحيد هو أن اذعان لينين كان نقطة البداية فى بناء الاتحاد السوفيتى كاحدى القوتين العظميين فى العالم ، ولكن اذعان عبد الناصر كان نقطة البداية فى سلسلة من الأخطاء التى أدت الى كارثة أعظم ، هى كارثة هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، التى انتهت باحتلال اسرائيل أراضى ثلاث دول عربية وهى مصر والأردن وسوريا !

وقد كان أول هذه الأخطاء هو اخفاء جهاز عبد الناصر الاعلامى هذا الجانب الاستسلامى فى نتائج حرب ١٩٥٦ ، عن الشعب المصرى ، حتى انه لم يعلم بمسألة فتح مضيق تيران للملاحة الاسرائيلية الا بعد احدى عشرة سنة عندما أمر عبد الناصر باغلاق مضيق تيران يوم ٢٢ مايو ١٩٦٧ ! وعندئذ تساءل الشعب المصرى : وهل كان هذا المضيق مفتوحا من قبل ؟

ولكن الدول العربية كانت تعلم - بطبيعة الحال - بفتح المضيق للملاحة الاسرائيلية ، ومرور هذه الملاحة فى ظل حماية البوليس الدولى ، وكانت تعابر مصر بذلك على نحو مشير •

ففى أثناء رحلة المشير عبد الحكيم عامر الى باكستان فى ديسمبر ١٩٦٦ ، وكان يصاحبه فى هذه الرحلة كل من شمس بدران وصلاح نصر ، تصادف أن مجلس دفاع الجامعة العربية كان مجتمعاً بناء على توصية مؤتمر القمة ، وكان الاجتماع فى مصر ، وكانت الدول العربية المعادية لمصر مركزة حملاتها على أن مصر واحة البوليس الدولى لحمايتها • وقد أثارت هذه الحملات الصحفية المسعورة المشير الذى فكر وقتذاك فى سحب البوليس الدولى ، واحتلال شرم الشيخ ، وأرسل إشارة للرئيس عبد الناصر بذلك ، ولكن عبد الناصر لم يقتنع وقتها •

والغريب أنه عندما اقترح المشير عامر وقتذاك سحب القوات الدولية من شرم الشيخ ، لم يكن فى خاطره اغلاق مضيق تيران ، وانما كان مجرد سحب القوات الدولية واحتلال شرم الشيخ « واحنا عندنا كتائب جاهزة » !

فعندما قال شمس بدران للمشير عامر ان سحب القوات الدولية من شرم الشيخ ، سوف يستتبعه قفل الخليج ، ويمكن تقوم حرب ا رد المشير قائلا : « لا ، أنا مش قصدى منع الملاحة ، وانما احتلال شرم الشيخ حتى لا نعطي الفرصة لأى أحد يتكلم » ! فقلت له : « الكلام عندئذ حيبقى عن قفل الخليج ! والا فان الحملة المسعورة حثريد » !

وفى كلام شمس بدران أمام المحكمة قال ان المشير قال له : « احنا حنحتل شرم الشيخ بس ، موش هانقفل الخليج » + فقلت له : « لا ، دى تبقى نص حل » !

وهو ما بين عجزا غربيا من قائد القوات المسلحة المصرية فى ذلك الحين عن ادراك الرابطة بين سحب القوات الدولية واغلاق مضيق تيران فى وجه الملاحة الاسرائيلية فى البحر الأحمر !

بل أن عبد الناصر لم يدرك هذا الارتباط بين سحب القوات الدولية واغلاق مضيق تيران الا متأخرا ! فقد كان طلبه

فى البداية سحب القوات الدولية من المنطقة المحصورة بين الكوتلا ورفع فقط ، مع استمرارها فى قطاع غزة وفى شرم الشيخ ، اذ كان المفهوم العسكرى المصرى فى ذلك الحين يقوم - كما ذكر الفريق محمد فوزى - على أن شرم الشيخ ليست هى الحدود الشرقية للجمهورية العربية المتحدة !

على أنه عندما أجريت الاتصالات المبدئية مع قوات الطوارئ الدولية ، رفضت قيادتها الانسحاب الجزئى ، وأصرت على تنفيذ مهمتها بالكامل ، أو التخلّى عنها بالكامل ! وعندئذ قرر عبد الناصر سحب القوات الدولية بالكامل من جميع المراكز التى تتواجد فيها ، سواء فى القطاع الخاضع للإدارة المصرية فى فلسطين ، أو فى سيناء !

وكان قرار عبد الناصر فى هذا الشأن غير مدروس تتابعه شأنه فى ذلك شأن قرار تأميم قناة السويس . فلم يكن يعلم أن انتهاء وجود قوات الطوارئ الدولية من شرم الشيخ سوف يعيد قضية الوجود المصرى فى شرم الشيخ ، بكل ما يترتب على ذلك من ضرورة اغلاق خليج العقبة فى وجه الملاحة الاسرائيلية !

ولذلك يقول الفريق عبد المحسن مرتجى : « الغريب فى الموضوع ، وبسبب الارتجال والتسرع وعدم وضوح الرؤية ، وعدم الاستقرار على الهدف - وهى الأمور التى شابت عمل

القيادة السياسية العسكرية العليا ، منذ بدأت هذه الأزمة المفتعلة ، أنه بعد أن أرسلت الرسالة التي تقرر سحب هذه القوات ، جرت محاولة لتأجيل تسليمها ! لاتاحة فترة من الوقت حتى يتكشف الموقف ! - على حد قول القيادة - الا أن هذه المحاولة فشلت ، فقد سلمت الوثيقة قبل وصول اخطار ايقاف تسليمها * وهكذا أصبحت مصر أمام الأمر الواقع ، وعليها أن تسير الى آخر المطاف » *

وبطبيعة الحال فان نهاية المطاف كان هزيمة يونية ١٩٦٧ ! وان كان ذلك قصة أخرى ، ولكن المغزى الذي نريد أن نبرزه هو أن مصر كانت واقعة في براثن قيادة سياسية وعسكرية تتخذ قرارات غير مسؤولة تستهدف استعراض قوة يعلم العدو أنها لا تملكها ! وتتكلم بكلام ثورى يشد الجماهير المصرية والجماهير العربية معها ، دون أن تسند هذا الكلام بقوة فعلية تحوله الى حقيقة واقعة تفرضه على العالم * وقد ترتب على ذلك أنها دفعت البلاد الى كارثة الهزيمة وسط تصفيق وهتاف الجماهير ! والمشكلة أن هذه القيادة تجد فى مصر اليوم أصواتا قوية تضفى عليها هالات البطولة والثورية !

- ١٢ -

كان وصول اسرائيل الى البحر الأحمر هو الثمن الباهظ الذى دفعته مصر لقرار تأميم شركة قناة السويس ، الذى رأينا كيف اتخذه عبد الناصر بناء على حسابات خاطئة وبدون أى استعدادات مسبقة لمواجهة نتائجه . ومع ذلك فإن هذا الثمن الباهظ الذى دفعته مصر لم يكن كل الثمن الذى كان عليها أن تدفعه لو كان العدوان الثلاثى قد وقع فى القرن التاسع عشر ، كما حدث فى ظروف الاحتلال البريطانى لمصر الذى استمر لمدة أربعة وسبعين عاما ، وكلف مصر تضحيات مادية وبشرية جسيمة .

فاذا كان عبد الناصر قد أوقع مصر فى حرب مع ثلاث دول لم يحسب لها أى حساب ، ولم يرسم - بالتالى - طريقا للانتصار فيها ، فقد تقدمت عناصر كثيرة فى ذلك الحين لانتقاد مصر من احتلال طويل تهدر فيه كل ما حققته من تقدم على طول نصف قرن وتعود فيه الى ظلام الاستعمار من جديد .

(★) الوفد الموافق ٣٠/١٠/١٩٩٥ .

ومن المحقق - تاريخيا - أن صمود الشعب المصرى كان أول هذه العناصر التى بنيت عليها كل العناصر الأخرى + فقد سبق أن ددرنا كيف قابل الشعب المصرى الغزو باستهانة وهذوء وثبات ، فى الوقت الذى كانت قيادته العسكرية تنهار وتتخبط +

ومن حسن الحظ أن الشعب كان مخدوعا وقتذاك فى قدرة قيادته السياسية على الخروج به من مأزق العدوان الثلاثى ! فقد أعطت صفقة الأسلحة السوفيتية وقرار تأمين شرذمة قناة السويس لعبد الناصر من التقدير ما رفعه الى مقام زعيم وطنى كبير ، وجعله موضع ثقة الشعب المصرى +

وكان عبد الناصر - قبل انهياره النفسى ، الذى تملكه فيه الاحساس بأنه أضاع البلد وبأن جيشه قد هزمه - قد أطلق شرارة المقاومة فى الشعب المصرى بخطابه الشهير فى الأزهر الشريف ، الذى خاطب فيه الشعب المصرى باللغة الواجدة التى يفهمها هذا الشعب العريق ، فقد أعلن أن الانذار البريطانى الفرنسى « لا تقبله العزة ولا الشرف ولا الكرامة » ، وأكد أنه « أهون علينا أن نموت دون أن نقبل طوعا احتلال فرنسا وبريطانيا جزءا من أراضينا ، فشرف الوطن كتلة واحدة » ، ثم قال : « سنقاتل فى كل مكان ، ولن نسلم ، وسيكون شعار كل فرد منا فى القوات المسلحة والشعب : سنقاتل ولن نسلم » +

منذ ذلك الحين قرر الشعب المصرى الصمود والقتال ،
 لا لأنه كان يؤمن بأنه يستطيع الانتصار على جيوش ثلاثة دول ،
 هى : فرنسا وبريطانيا واسرائيل ، وانما الآن هذا القتال هو
 ما يقتضيه الشرف : شرف الوطن وشرف الشعب .

والمثير فى هذا الصدد هو أنه كما أن عبد الناصر أطلق
 شرارة المقاومة فى الشعب بخطاب الجامع الأزهر ، فان الشعب
 كان له الفضل فى انتشار عبد الناصر من وهدة اليأس والقنوط
 بعد رحلته الحزينة الى الاسماعيلية مع عبد اللطيف البغدادى ،
 الذى شاهد فيها جيشه محطما على قارعة الطريق . فقد اعترف
 البغدادى بأن ما شاهده وعبد الناصر من نبات الشعب
 واستهانته بالخطر فى الاسماعيلية ، أعاد الأمل بعد يأس فى
 قلب عبد الناصر ورفع معنوياته .

ويمكن القول ان الشعب المصرى الذى خاض معركة ١٩٥٦
 كان هو الشعب المتمرس على النضال على يد الوفد على مدى
 ربع القرن السابق على ثورة يوليو ، والذى تعود على المعارك
 ضد الاحتلال البريطانى مستهينا بقواته التى كانت تربض على
 أرض الوطن . ومن هناك لم تشكل أزمة العدوان الثلاثى بالنسبة
 له شيئا جديدا ، وانما رأى فيها مرحلة جديدة من مراحل النضال
 الوطنى ضد الاستعمار والاحتلال .

وهذا يفسر أنه في حين تخاذلت قيادات يولية العسكرية ،
فان القوى الشعبية المتمرسة بالنضال قبل يولية تقدمت لتحمل
علم النضال •

وفد ثان صمود الشعب المصرى هو أساس انقاذ مصر ،
فقد كان له تأثيره الكاسح فى جذب نايد حركة تضامن الشعوب
الاسيوية والافريقية ، التى برزت بعد الحرب العالمية الثانية
نتيجة ما نمخضت عنه هذه الحرب من استقلال عدد كبير من
الدول الاسيوية الافريقية ، مثل الهند ، وباكستان ،
وأفونيسيا ، والصين ، وبورما ، وسيلان ، والحبشة ،
وسوريا ، ولبنان • وكانت هذه الحركة قد اتجهت الى اتخاذ
سياسة مستقلة عن الكتلتين الكبيرتين المتصارعين اللتين نشأتا
بعد الحرب ، وهما الكتلة الشرقية والكتلة الغربية ، وهو ما ظهر
فى اتخاذ حكومة الوفد موقف الحيادة فى الحرب الكورية وقد
عرفت حركة هذه الشعوب باسم حركة الحياد الايجابى ،
ونجحت فى اقامة مؤتمرها الكبير فى باندونج فى ابريل
سنة ١٩٥٥ ، الذى حضرته وفود ٢٢ دولة ، ومن بينها مصر •

فسبب اعتناق عبد الناصر مبادئ باندونج ، أمكن لمصر
الاستفادة من امكانات الشعوب المعادية للاستعمار والأحلاف
عندما وقع العدوان الثلاثى ، فقد أصبحت هذه الشعوب بعد
باندونج قوة فعالة داخل الأمم المتحدة ، يرتفع صوتها بالتنديد

بالاستعمار والتدخل العسكرى الأنجلو فرنسى الاسرائيلى . وقد لعبت الهند دورا قويا فى هذا الصدد .

لقد أدركت هذه الشعوب أنه اذا نجح العدوان الثلاثى فى تحقيق أهدافه ، لن تقع على مصر وحدها نتائجها ، بل ستقع هذه النتائج على رأس جميع الشعوب التى تريد تحرير اقتصادها من القبضة الامبريالية ، اذ ستعرض لعدوان مماثل يقضى على استقلالها . ومن هنا شعر كل شعب من هذه الشعوب بأن معركة الشعب المصرى ضد العدوان الثلاثى هى معركته بنفس الدرجة .

أما العنصر الثالث فى انقاذ مصر ، فهو الغضب الذى اشتعل فى جميع أنحاء العالم العربى بسبب العدوان الثلاثى ، نتيجة شعور الشعوب العربية بأن سقوط مصر يعنى تساقطها جميعا على المدى القريب . ومن هنا قطعت كل من المملكة العربية السعودية وسوريا علاقتهما بكل من فرنسا وبريطانيا . كما قطعت كل من الأردن والعراق علاقتهما بفرنسا . واشتعلت المظاهرات فى كل بلد عربى احتجاجا على العدوان ، وقام الضباط القوميون فى سوريا ، بقيادة عبد الحميد السراج ، بنسف محطة ضخ تابعة لخط أنابيب شركة بترول العراق ، للتأثير فى امدادات الغرب البترولية .

أما العنصر الرابع فيتمثل فى تأييد المعسكر الاشتراكى لمصر وقت العدوان . ففى ذلك الحين كانت سياسة عبد الناصر

فى مقاومة الأحلاف العسكرية ، قد وضعته فى خط واحد مع الدول الاشتراكية التى كانت هذه الأحلاف موجهة اليها أساسا . وكان قد ارتبط بالفعل بهذا المعسكر بعد صفقة الأسلحة الروسية ، ثم جاءت موافقة الاتحاد السوفيتى على تمويل السد العالى من حيث المبدأ ، بعد سحب أمريكا وبريطانيا والبنك الدولى العرض بالتمويل ، لتؤكد هذا الارتباط ، ومن هنا قام عبد الناصر بالاعتراف بالصين الشعبية فى مايو ١٩٥٦ فأفصح عن عزمه وتصميمه على الارتباط بالمعسكر الاشتراكى .

على هذا النحو دخل عبد الناصر فى لعبة الحرب الباردة ، وهى لعبة جديدة فى الصراع الوطنى على الاستقلال ، لم تكن متاحة للقيادات الوطنية قبل ثورة يوليو بنفس الدرجة التى أتاحت لعبد الناصر ، اذ كان وجود القصر يحرم هذه القيادات من اللعب بهذه الورقة .

وهو ما تمثل فى عهد حكومة الوفد الأخيرة ، فعندما أوقفت بريطانيا امدادات الأسلحة الى مصر ، حذر وزير الخارجية الوفدى الدكتور صلاح الدين ، خلال لقائه بوكيل وزارة الخارجية الأمريكية فى واشنطن فى ١٩ أكتوبر ١٩٥٠ ، من أن مصر « قد تضطر الى اللجوء الى الكتلة السوفيتية التى تتلهف على تقديم الأسلحة ، اذا لم تستأنف بريطانيا شحنات الأسلحة الى مصر » . وعندما استمر التعتن الغربى من تزويد

مصر بالأسلحة ، لم تتردد الحكومة الوفدية فى الاتصال بالحكومة
التشيكية ، التى كانت قد أبدت استعدادها لتزويد مصر ببعض
منتجاتها الحربية ، وقدمت لها كشوفاً بالاحتياجات المصرية من
الأسلحة والدبابات والطائرات • على أن الحكومة التشيكية
سوفت فى اجابة الطلب حتى ينجلى موقف مصر السياسى من
المعسكر الغربى بعد الغاء معاهدة ١٩٣٦ •

ولم يقدر لحكومة الوفد الاستمرار فى لعبة الحرب
الباردة ، وهو ما كان متوقعا بعد معركة القنال ومذبحة الشرطة
فى الاسماعيلية ، اذ بادر القصر بإقالة حكومة الوفد ، وأخرج
من الساحة السياسية القوة الوطنية التى كانت جديرة بالوصول
بالتصدي للاحتلال الى الذروة ، وأتى بحكومات رجعية قامت
بتبريد الحركة الوطنية على نحو يناسب الاحتلال •

وقد كان النخلص من القصر وتأمين ظهر الحركة الوطنية
هو ما أتاح لعبد الناصر استئناف الدور الذى لعبه الوفد وتحطيم
احتكار السلاح بالاعتماد على الكتلة الشيوعية ، والمضى فى
تحدى الغرب فى قضية تمويل السد العالى بالحصول على
موافقة الاتحاد السوفيتى على التمويل من حيث المبدأ ، وبذلك
فرض على الاتحاد السوفيتى والمعسكر الاشتراكى التزاما أدبيا
بتأييد مصر فى معركتها ضد العدوان الثلاثى •

وهو ما حدث تماما • فقد مارس الاتحاد السوفيتى ضغوطه

السياسية والقانونية في إطار الأمم المتحدة لوقف العدوان الثلاثي ، وعندما فشلت هذه الضغوط أرسل بولجانيين رئيس الوزراء رسالته الشهيرة الى ايدن يقول فيها ان الحرب يمكن أن تتطور الى حرب عالمية ثالثة ، واتنا عاقدون العزم على استخدام القوة لسحق المعتدين واعادة السلام المشرف الى الشرق الأوسط ، ونحن نأمل أن تظهروا الحكمة وتستخلصوا من ذلك النتائج المناسبة .

كما أرسل بولجانيين رسالة أخرى الى بن جوريون أوضح فيها أن تصرفات اسرائيل قد كشفت عن زيف ادعاءاتها عن حبها للسلام ورغبتها في التعايش السلمي مع جيرانها العرب ، وعن انها تعمل لحساب الغير وفقا للتعليمات التي تصدر اليها من سادتها ، وتلعب لعبا اجراميا غير مسئول بمصير السلام وبمصير شعبها .

ويقول أحمد حمروش ان الاتحاد السوفيتي أطلق انذاراته هذه في اليوم التالي لقمعه ثورة المجر ، التي عجزت فيها الولايات المتحدة عن استخدام السلاح النووي ، فأثارت فزعا في العالم الغربي ، وظهرت الصحف البريطانية والفرنسية يوم ٦ نوفمبر وهي تحوى عناوين مفزعة عن احتمال ضرب لندن بالصواريخ ! وفي مساء هذا اليوم كان ايدن يعلن في مجلس العموم قرار وقف اطلاق النار .



- ١٣ -

ذكرنا في مقالنا السابق أن وصول إسرائيل الى البحر الأحمر كان هو الثمن الباهظ الذي دفعته مصر لقرار تأميم شركة قناة السويس غير المحسوب نتائجه ، وأن هذا الثمن كان مجرد جزء من الثمن الذي كان على مصر أن تدفعه لو وقع العدوان الثلاثي في ظروف أخرى كتلك التي وقع فيها الاحتلال البريطاني لمصر ، ولكن تقدمت عوامل أوقدت مصر من دفع هذا الثمن . وقد ذكرنا من هذه العوامل وقفة الشعب المصرى الصلبة في وجه العدوان ، ومساندة حركة تضامن الشعوب الآسيوية والافريقية ، وتضامن الشعوب العربية ، ثم مساندة المعسكر الاشتراكي الذي وصل ذروته برسالة بولجانين رئيس الوزراء السوفيتي الى ايدن يحذر فيها من تطور الحرب الى حرب عالمية اذا استمر العدوان .

على أن عاملا هاما آخر برز في ذلك الحين كان له تأثيره

(*) الولد الموافق ١١/٦/١٩٦٥ .

فى وقف عجلة العدوان الثلاثى ، ويتمثل فى الأمم المتحدة ، التى كانت فى ذلك الحين تشل قوة ضغط عالمية قبل أن يفعل الاستقطاب بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة فعله فى ازالة تأثيرها وتحويلها الى مجرد منبر خطابى *

ويعترف كثير من المؤرخين بأن الدور الذى لعبته الأمم المتحدة فى التنديد بالعدوان الثلاثى ، وفى الزام الدول المعتدية بالانسحاب ، يعد من أخطر الأدوار التى لعبتها الهيئة الدولية منذ انشائها ، اذ لم يحدث أن فازت قرارات بشأن قضية خطيرة - كذلك التى تمثلت فى العدوان الثلاثى - بمثل الأغلبية التى حصلت عليها !

فقد قامت أربع وستون دولة ، بما فيها الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ، بالاقتراع ضد بريطانيا وفرنسا واسرائيل ، ومطالبتها بسحب قواتها الى ما وراء خطوط الهدنة ، وذلك فى يوم ٢ نوفمبر ١٩٥٦ . كما وافقت ٥٩ دولة على تكليف السكرتير العام بتنفيذ قرار وقف اطلاق النار . وفى ٤ نوفمبر وافقت ٥٧ دولة على تكوين قوة طوارئ دولية تقوم بتنفيذ قرار الجمعية العامة الصادر فى ٢ نوفمبر *

وقد لعبت الصدفة دورها فى انتفاذ عبد الناصر من الوقوع فى أسر القوات البريطانية والفرنسية التى هبطت فى بورسعيد فى يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦ . وكان عبد الناصر قد قرر - كما ذكرنا

فى مقالاتنا السابقة - الذهاب الى بورسعيد « حتى ىرى ماذا سيفعل الجيش عندما يعلم أن رئيسه قد ذهب الى بورسعيد لىقاتل بنفسه » • وسافر بالفعل مع عبد اللطيف البغدادى الى الاسماعيلبة فى طريقه الى بورسعيد ، ولكن فى صباح يوم الاثنين ٥ نوفمبر عندما صحا من النوم أبلغه كمال الدين حسين بنزول جنود مظلات العدو فى بورسعيد فى مطار الجميل ، ولصحبه بالعودة الى القاهرة ، ووافق عبد اللطيف البغدادى على ذلك ، وشعر عبد الناصر بانها كانت غلطة كبيرة محاولة الذهاب الى بورسعيد • ويقول أتونى ناتج ان هذه القوات كانت كفيلة بأسره لو أنه وصل الى بورسعيد •

كان العامل المهم الآخر ، هو الرأى العام المعادى للعدوان الثلاثى فى كل من انجلترا ودول الكومونولث البريطانى • فى البرلمان البريطانى ارتفعت أصوات المعارضة العمالية تتهم ايدن بالاجرام وتطالبه بالاستقالة والكف عن التضليل : « ان ايدن يتصريحاته الكاذبة المضلة اما أحقق غبى واما مجنون متهور ، وفى كلتا الحالتين اتنا لا نريده رئيسا لحكومتنا » ! « انكم عصابة من المجرمين سفاكى الدماء » ! و « مجرم ، منافق ، كاذب ، اغرب عنا ، استقل ، داعية حرب » ! • الى آخره • كما اشترك فى التنديد من شركاء بريطانيا فى الكومونولث كندا والهند وباكستان وسيلان •

وكان عبد الناصر قد حرص على عدم اعطاء ايدن وموليه أقل ذريعة لمواصلة أو توسيع احتلالهما للأراضي المصرية • فقد أعلن أن أى هجوم على الرعايا البريطانيين أو الفرنسيين المقيمين فى مصر سوف يعاقب بشدة • وقد التزم جميع المصريين بهذا التحذير ، لدرجة أنه حتى بعد أن دمرت القاذفات البريطانية سلاح الطيران المصرى وهاجمت عددا من المراكز الصناعية فى القاهرة والدلتا ، لم تقم مظاهرة واحدة ضد السفارة البريطانية !

على أن العنصر الحاسم فى وقف العدوان الثلاثى وانهاد مصر من احتلال طويل ، كان هو الولايات المتحدة الأمريكية • ففى ذلك الحين كانت الولايات المتحدة بعد العرب العالمية الثانية قد تصدرت العالم الغربى ، وكانت قد أخذت تضيق بالندية من جانب الدول الاستعمارية القديمة فى أوروبا وعلى رأسها إنجلترا وفرنسا ، وتتوق الى وراثة نفوذهما القديم وسيطرتهما فى العالم •

وفى الوقت نفسه كان وزير الخارجية الأمريكية دالاس منذ بداية أزمة السويس ، يعارض فكرة محاولة اسقاط عبد الناصر باجراء عسكرى ، اذ كان يشعر بأن الضغوط الاقتصادية ستكون أكثر فاعلية ، كما أنها أقل اثارة للرأى العالمى ، ولكنه لم يكن أقل اقتناعا من ايدن وموليه بضرورة

التخلص من عبد الناصر بوسيلة أو بأخرى • كما كان يرى أنه إذا أقدمت بريطانيا وفرنسا على مغامرتهما ، فيجب أن تمضيا فيها الى النهاية بدلا من ايقافها قبل اسقاط عبد الناصر • كما كان دالاس يرى ضرورة حمل مصر على أن تتقيأ ما ابتلعت بتأميم شركة قناة السويس ، وكان هو المتبنى الأول لمشروع تدويل ادارة قناة السويس الذى كان منزيس قد حمله الى القاهرة •

على أنه عندما نفذت انجلترا وفرنسا تدخلهما العسكرى فى مصر بالاشتراك مع اسرائيل ، دون استشارة الولايات المتحدة ، شعر الرئيس الأمريكى أيزنهاور بالغضب ، ذلك أن هذا التدخل العسكرى لم يكن من شأنه فقط توريط الولايات المتحدة فى صراع دولى مع الاتحاد السوفيتى دون أن يكون لها دور أو رغبة فى ذلك ، وإنما لأن التدخل العسكرى الثلاثى كان قد ساعد على صرف انتباه العالم عن تدخل الاتحاد السوفيتى الوحشى فى المجر ، وأعطاه الفرصة لصرف انتباه العالم عن هذا التدخل عن طريق توجيه انذاره العلنى الى ايدن وموليه وبن جوريون !

ووفقا لآلتونى فانتج فان الروس لم يكن فى نيتهم التدخل الفعلى ! فبينما كان صدى تهديدات الكريملين تتردد فى أنحاء العالم كان خروشوف يبلغ السفير المصرى محمد القولى أن « عقبات جغرافية » تمنعه تماما من ارسال أية مساعدة مادية

لمصر • هذا فضلا عن أن الاتحاد السوفيتي ، كما أوضح خروشوف بجلاء في رسالة بعث بها الى عبد الناصر عن طريق شكرى القوتلى ، لم يكن ليخاطر بإشعال نيران حرب عالمية ثالثة من أجل مصر وقتاة السويس ، وأنه اذا كان لابد من خوض مثل هذه الحرب ، فإن السوفييت سيختارون مكانا وزمانا أكثر ملاءمة ا

وقد أصابت هذه الرسالة عبد الناصر بالاكنتاب ، حتى انه بادر بوضع البرقية في خزائنه الخاصة خوفا من اضعاف الروح المعنوية لرفقائه ، وظل السر حبيس الخزانة حتى عام ١٩٦٠ عندما ثار جدل مع الأعضاء السوريين في مجلس وزراء الجمهورية العربية المتحدة المشترك ، الذين كانوا يطالبون في ذلك الحين بشن هجوم فجائى على إسرائيل ، فقد حذر عبد الناصر بأن مثل هذا العمل سيقابل بمقاومة من العرب • وعندما رد السوريون بأن الاتحاد السوفيتي سوف يقاثل دافعا عن العرب ، فتح عبد الناصر خزائنه وقدم لهم رسالة خروشوف كدليل على أن روسيا لن تفعل ذلك •

ومن الواضح أن انشغال السوفييت بمعركتهم في المجر في ذلك الحين ، وهى معركة أساسية بالنسبة لهم ، كان هو السبب فى رسالة خروشوف السالفة الذكر ، بدليل أنهم لم يكادوا ينتهون من قمع ثورة المجر حتى أرسل بولجانين رسالات

التهديد الى ايدن وبن جوريون ، وهو ما يعنى أنهم أصبحوا أكثر استعدادا للتورط فى مشكلة السويس سياسيا ، حتى وان لم يكونوا على استعداد للتورط عسكريا ، وهو ما كان له دور كبير فى تذكية الروح المعنوية فى الشعب المصرى •

على أن برقية خروشوف كانت قد دفعت عبد الناصر الى المصدر الآخر للمساعدة ، وهى الولايات المتحدة الأمريكية • فقد لجأ عبد الناصر الى ايزنهاور طالبا المساعدة • ولكى يظهر للأمريكيين أنه لا يعمل لحساب السوفييت ، أصدر تعليماته الى الأخوين مصطفى وعلى أمين باعادة طبع مقال كانت مجلة «لايف» الأمريكية قد نشرته ، يكشف الستار عن عملية القمع الوحشية التى قامت بها القوات السوفيتية فى المجر !

وفى الوقت نفسه أظهر اعتراضه للسوريين على القيام بأى عمل تخريبى ضد خط أنابيب « التابدين » الذى تملكه أمريكا ، ولذلك لم يصب بأذى طوال حرب السويس !

لكل ذلك ، حين أخذت تبتاج العالم عاصفة من التنديد بالعدوان الثلاثى ، وشاركت فيه روسيا والصين وشركاء بريطانيا فى الكومونولث ، قدم مندوب الولايات المتحدة هنرى كابوت لودج قرارا الى مجلس الأمن يطالب اسرائيل بالانسحاب ويطلب من جميع أعضاء الأمم المتحدة الآخرين الامتناع عن استخدام القوة أو التهديد بها • وقد استخدمت انجلترا وفرنسا

حق الفيتو في وجه هذا القرار ، وهى أول مرة تستخدم فيها الدولتان هذا الحق منذ قيام الأمم المتحدة . وعندئذ أيد لودج اقتراحا سوفيتيا بدعوة الأمم المتحدة الى عقد جلسة طارئة للجمعية العامة ، حيث لا يستخدم فيها حق الفيتو ، وذلك للتعبير عن اعتراض العالم على العدوان ، والمطالبة بوقف اطلاق النار فورا ، وانسحاب الجيش الاسرائيلى من الأراضى المصرية . وكان هذا الموقف الأمريكى سببا في تشجيع الدول الدائرة في الفلك الغربى على الاقتراع ضد بريطانيا وفرنسا واسرائيل ، دون خشية اتهامها بالخروج من الفلك الغربى ! ومن هنا بلغ عدد هذه الدول - كما ذكرنا - ٦٥ دولة بما فيها الولايات المتحدة ، ولم يقف الى جانب بريطانيا وفرنسا سوى استراليا ونيوزيلندا !

ثم جاءت الضربة القاضية حين خاطر ايزنهاور بفقد أصوات اليهود الأمريكيين فى انتخابات رئاسة الجمهورية التى أجريت أثناء القتال ، وأعلن ادأنته الصريحة لعدوان اسرائيل على مصر . وعندما ثبت له أن انجلترا وفرنسا تستخدمان أسلحة حلف الأطلسنى فى العدوان على مصر ، وجهت حكومته لهما مذكرة تعترض فيها على هذا الاستخدام ، وتذكرهما بأن الأسلحة التى حصلتا عليها عن طريق اتفاقية المساعدة الدفاعية المتبادلة يجب ألا تستخدم فى أغراض عدوانية !

- ١٤ -

كان قرار تأميم شركة قناة السويس غير المحسوب كقيلا
 بإعادة مصر الى الورا سبعين عاما لولا تغير الظروف العالمية ،
 وتدخل كل من الأمم المتحدة ، والمعارضة العمالية في البرلمان
 البريطاني ، والاتحاد السوفيتي ، ومجموعة دول عدم الانحياز ،
 والرأى العام في البلاد العربية . وكان على رأس القوى التي
 كان لتدخلها تأثير حاسم في انقاذ مصر من احتلال دول العدوان
 الثلاثي هي الولايات المتحدة الأمريكية ، التي وقف رئيس
 جمهوريتها الرئيس دوايت أيزنهاور ضد العدوان الثلاثي منذ
 البداية ، لما رأى من أنه أعطى الاتحاد السوفيتي الفرصة
 للافلات بجريمة القمع الوحشي لثورة المجر ، والظهور أمام دول
 العالم الثالث بمظهر الحامي والمدافع عنها .

وهو ما اعترف به عبد الناصر نفسه ، الذي رأى أن دور
 الولايات المتحدة في السياسة العالمية دور فاصل ، وأن في

(★) الولد الموافق ١٣/١١/١٩٦٥ .

يدها جميع أوراق اللعبة السياسية * ففى لقائه بالرئيس دوايت أيزنهاور فى فندق والدورف ستوريا فى يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٥٩ ضرب المثل بفشل الولايات المتحدة فى حل قضية فلسطين سنة ١٩٤٨ ونجاحها فى حل مشكلة العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ، ونسب كلا من الفشل والنجاح الى الولايات المتحدة * وعلى حد قوله : « نجحت الأمم المتحدة فى سنة ١٩٥٦ لأن أمريكا وقفت معها ، وفشلت الأمم المتحدة سنة ١٩٤٨ لأن أمريكا تخلت عنها » !

ولو كان قد جرى لقاء آخر بين عبد الناصر ورئيس الولايات المتحدة بعد حرب ١٩٦٧ ، لأضاف الى أسباب فشل الأمم المتحدة فى حل مشكلة احتلال اسرائيل لسيناء والضفة الغربية وغزة والجولان ، موقف الولايات المتحدة المساند لاسرائيل !

ولذلك يذكر ألتونى ناتنج فى كتابه عن ناصر ، أن عبد الناصر ، اعترافا منه بأنه اذا كانت هناك دولة واحدة لعبت دورا حاسما فى وقف الغزو الأنجلو فرنسى لمصر ، فهى الولايات المتحدة ، أبلغ السفير الأمريكى فى اليوم التالى لاعلان وقف إطلاق النار ، أنه يأمل فى تحسين العلاقات مع واشنطن فى الأوقاف العصيبة المقبلة ، ونبه الى أن بريطانيا وفرنسا قد فقدتا

بعملهما نفوذهما فى جميع أنحاء العالم العربى ، وهو ما يفرض أن تكون العلاقات بين مصر والغرب عن طريق الولايات المتحدة ، ويجعله يأمل فى أن يعمل الأمريكيون على قيام تفاهم مع مصر وبقية العالم العربى ، ولن يجدوا صعوبة فى ذلك ، لأن أية جهود تبذلها واشنطن فى هذا السبيل سوف تقابل بتقدير بالغ من القاهرة !

وقد كان حرص عبد الناصر على العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية هو ما دعاه الى مطاردة الشيوعيين فى مصر واعتقالهم ، فى محاولة لموازنة رفضه لمبدأ أيزنهاور الذى قبلته كل من لبنان والأردن والعراق والمملكة العربية السعودية ، وتزعمه لحركة القومية العربية التى انطلقت بعد فشل دول العدوان الثلاثى فى احتلال مصر . ثم نقل هذه المطاردة للشيوعيين الى سوريا بعد الوحدة .

وعندما أبدى الاتحاد السوفيتى استياءه لذلك ، واتهم عميد الناصر بنكران الجميل لمساعدة روسيا فى وقف العدوان الثلاثى ، لم يتردد عبد الناصر فى مهاجمة الاتحاد السوفيتى ، واتهم الفرصة لتحويل ٢٤٠ طالبا كانوا يدرسون فى الاتحاد السوفيتى الى الولايات المتحدة !

وفى الوقت نفسه ، وبالنسبة لاسرائيل وحرصا على العلاقات مع الولايات المتحدة ، أنكر علانية أنه كان فى نيته تدمير

اسرائيل . فعندما سألته المسز دوروثى طومسون فى يناير ١٩٥٧ عما اذا كان ينوى تدمير اسرائيل ، رد بقوله : « أتحدى مسيو موليه ومستر سلوين لويد أن يجدا فى كافة خطبى وتصريحاتى كلمة تشير الى أنى أنوى تدمير اسرائيل » ! وفى حديثه لوليام أتورد فى الدايلى اكسبرس يوم ١١/٦/١٩٥٧ قال فى صراحة تامة : « انى لم أتحدث مطلقا عن تدمير اسرائيل ، وأى تسوية شاملة يجب أن تأخذ فى الحسبان حقوق اللاجئين العرب ومشاكل الحدود . ومن الجانب الاسرائيلى فانها يجب أن تأخذ فى الاعتبار حقوقها فى استخدام القناة وخليج العقبة . اننى لا أعرف متى تكون هذه التسوية الشاملة ممكنة » .

وبسبب هذا الموقف المتوازن ، استصدر الأمريكيون القانون رقم ٤٨٠ الذى أتاح لهم فرصة امداد عبد الناصر بالقمح وغيره من المساعدات .

والمهم هو أن قرار تأميم شركة قناة السويس وما ترتب عليه من العدوان الثلاثى ، كان هو بداية انفراد الولايات المتحدة بالزعامة على العالم الغربى ، وأقول نجم الدولتين الاستعمارييتين القديمتين وهما بريطانيا وفرنسا . فقد استخدمت الولايات المتحدة العدوان الثلاثى بذكاء لتلقين الدولتين الاستعمارييتين درساً لا ينسى !

فبالنسبة لبريطانيا كان اذلالا لم تتعرض له من قبل ،
 فحين انخفض احتياطي الذهب البريطاني بمقدار ٢٨٥
 مليون جنيه ، وأخذ احتياطي العملة ينفد يبيع الاسترليني في
 نيويورك على نطاق واسع ، وأرادت بريطانيا سحب رأس المال
 من صندوق النقد الدولي - رفضت الولايات المتحدة ، وعرضت
 في نفس الوقت أن تؤيد تقديم البنك الدولي قرضا لبريطانيا
 قيمته ٣٠٠ مليون جنيه لحفظ الجنيه الاسترليني ، بشرط وقف
 إطلاق النار في منتصف الليل ، مما أجبر الحكومة البريطانية على
 قبول وقف إطلاق النار !

وقد عبر أحد المؤرخين البريطانيين عما تعرضت له بريطانيا
 من هوان على يد الولايات المتحدة بقوله : « كنا قبل حرب
 السويس نخشى أن نصبح هولندا أخرى ، ولكننا عرفنا بعد
 المعركة اننا أصبحنا أقل من برتغال أخرى مرهونة للأمريكا ،
 بالرغم من اننا امبراطورية » ! ثم قال « لقد أثبتت السويس
 أننا غير قادرين على اتخاذ أى عمل حربي بدون الولايات
 المتحدة » ! وهكذا حققت الولايات المتحدة أهدافها !

وبالنسبة لفرنسا فان تدخل الولايات المتحدة كان فاتحة
 للسياسة الديجولية بقدر ما كان نهاية الجمهورية الرابعة .

وقد بلغت خسائر مصر في الأرواح ألف قتيل من الجنود ،
 فضلا عن مئات المدنيين الذين قتلوا أثناء القتال الذي نشب في

بورسعيد * كما وقع ستة آلاف مصرى وفلسطينى أسرى فى يد الاسرائيليين ، وكان معظمهم قد حوصر فى قطاع غزة * وقد اعيدوا جميعا الى مصر بعد وقف اطلاق النار * أما خسائر القوات الغازية فكانت طفيفة ، فقد بلغت خسائر القوات الاسرائيلية ١٧١ قتيلًا ، وبلغت خسائر القوات الأنجلو فرنسية ٢٦ قتيلًا *

وقد قبل عبد الناصر فى مقابل انسحاب اسرائيل من سيناء وغزة ، منع عمليات تسلل الفدائيين الى اسرائيل فى المستقبل ، وتخويل قوات الطوارئ الدولية القاء القبض على أى متسلل يشتبه فى أمره * وبالرغم من رفض الاسرائيليين السماح بتحديد خط واضح للحدود بين مصر واسرائيل ، بحجة أن الهدنة التى قررت هذه الحدود قد « زالت و انتهت » ، فإن عبد الناصر وافق على أن تقدم الشرطة المصرية والجيش المصرى لقوات الطوارئ الدولية كل المساعدات الممكنة للمحافظة على السلام والهدوء على حدود مصر مع اسرائيل *

وما أن فرضت القيود على الفدائيين ، وأدرك البدو وأهل المنطقة أن عمليات عبور الحدود الى اسرائيل لن يسمح لها ، سواء من جانب قوات الأمم المتحدة أو من سلطاتهم ، حتى أصبحت حوادث الحدود بين مصر واسرائيل طوال العشر سنوات التى تلت ذلك ، من ذكريات الماضى !

كذلك قبل عيد النصار تواجد قوات الطوارئ الدولية على الأرض المصرية ، رغم رفض اسرائيل تواجد قوات الطوارئ الدولية على أرضها ، لما رأّت في ذلك من انتهاك لسيادة اسرائيل !

ويقول أنطوني ناتنج أن عبد الناصر كان خير من يعلم أن موافقته على مرابطة قوات الطوارئ الدولية على الجانب المصري في شرم الشيخ ، انما تعنى موافقته على انتهاء حصار مصر على ميناء ايلات . وكان انتهاء هذا الحصار بالنسبة لبن جوريون كسبا أهم بكثير من أى امتياز يتعلق باستخدام قناة السويس مهما تكن أهمية هذا الاستخدام لهية اسرائيل . وقد سمح عبد الناصر بالبدء في تطهير القناة رغم أن الأراضى المصرية نفسها لم تحرر من الغزاة الا بعد ذلك بنحو شهرين !

وقد ترتب على قرار تأميم شركة قناة السويس وما ترتب عليه من العدوان الثلاثى ، تحول ميناء «ايلات» الى ميناء عالمى ، ومحاولة اسرائيل الاستعاضة به عن قناة السويس لنقل البضائع والبتترول بين آسيا وافريقيا وأوروبا . فقد عمدت الى اقامة شبكة من المواصلات بين ايلات والبحر المتوسط ، وادخال تحسينات كبرى على الميناء ، وفامت بتوسيعه وتقسيمه الى قسم للبتترول ، وقسم لشحن توزيع البضائع ، وقسم لتخزين البضائع .

وفي عام ١٩٥٩ كانت هناك ثلاث شركات ملاحية تعمل
بواخرها بانتظام بين ايلات والساحل الشرقي لافريقيا . وقد
سجل الاسطول التجارى الاسرائيلى تقدما مضطربا منذ
عام ١٩٥٩ ، وقامت الخطوط الملاحية الاسرائيلية بربط اسرائيل
باليابن وبورما وسيلان وشرقى افريقيا وغربها واستراليا .
وهو ما لم يسبق له مثيل منذ قيام دولة اسرائيل !

وسرعان ما أنشأت اسرائيل مطارا عسكريا فى شمال ايلات
لهبوط الطائرات النفاثة ، يعد المطار الثانى فى اسرائيل بعد
اللد . وأنشأت طريقا برياً من الدرجة الأولى بين حيفا وايلات
يلغ طوله ٤٦٧ كيلو مترا ، أطلق عليه الاسرائيليون اسم
« قناة السويس البرية » ! واستطاعت اسرائيل بذلك أن تحول
الى ايلات الجزء الأعظم من حركة الملاحة التى كانت تصل الى
ميناء العقبة الأردنى ، حتى بلغ حجم السفن التى تصل اليها
فى عام ١٩٦٧ سبع سفن مقابل كل سفينة تصل الى ميناء
العقبة !

وقد ترتب على ذلك تسرب النفوذ الاسرائيلى الى افريقيا ،
تدعمه الاستثمارات الاسرائيلية والامبريالية . وقد بلغ من
امتداد النفوذ الاسرائيلى فى افريقيا أن بلغ عدد الدول الافريقية
غير العربية التى أقامت علاقات دبلوماسية مع اسرائيل حتى

عام ١٩٧٣ ، ٣٢ دولة ، وفشلت كل الجهود والمحاولات التي بذرها الجانب العربي لصالح ادراج القضية الفلسطينية ضمن جدول أعمال منظمة الوحدة الافريقية الا بالتخففات التي كانت تبديها الدول الافريقية غير العربية ! وبفضل كل ذلك تمكنت اسرائيل من التغلب على الحصار الاقتصادي العربي ومنافسة الصناعات العربية .

على أن كل هذه الخسائر الجسيمة لم تمنع مصر من تحقيق مكاسب اقتصادية وسياسية هامة ، فضلا عن مكسب هودة القناة الى مصر ، وهو مطلب قومي ظل دفيناً في قلب كل مصري منذ عشرات السنين ، وكان تحقيقه خارجاً عن امكانيات مصر السياسية بسبب الاحتلال البريطاني . ذلك أن العدوان الثلاثي على مصر واشتراك بريطانيا فيه ، أعطى عبد الناصر الفرصة للتحرر من معاهدة الجلاء التي وقعت بين مصر وبريطانيا في أكتوبر ١٩٥٤ ولم تحظ بموافقة الشعب المصري ، اذ اعتبر عبد الناصر هذه المعاهدة ملغاة من أول يناير ١٩٥٧ ، وبذلك استردت مصر كامل استقلالها وسيادتها التي حرمت منها منذ قرون . ومنذ ذلك الحين بدأ عصر الاستقلال الوطني الحقيقي ، الذي كان مقدراً له أن يؤتي ثماره كاملة لولا أن كرر عبد الناصر أخطاء ١٩٥٦ في يونيو ١٩٦٧ ! فحرم مصر من اتمام دورها في تحقيق الوحدة العربية وقيام دولة كبرى من الخليج الى

المحيط ، وأتاح الفرصة لإسرائيل للظهور كدولة لا تقهر ، وفرض
إرادتها على الدول العربية .

ولكن مصر في عصر الاستقلال الكامل الذي تمتعت به منذ
يناير ١٩٥٧ الى ٥ يونية ١٩٦٧ استطاعت تغيير مصير المنطقة
العربية على نحو لم يسبق له مثيل .



وبعد ذلك كيف يمكننا تقييم قرار تأميم شركة قناة
السويس ؟ ان الدراسة التي قدمناها في هذا الصدد تقدم
الاجابة كاملة . فعلى الرغم من أن هذا القرار كان استجابة
لرغبة وطنية حقيقية كانت تعيش في ضمير كل وطني
مصرى ، وقد لقي ترحيبا عاما من كل مصرى ، الا أنه ليس
من مصلحة أى وطن من الأوطان أن تتخذ فيه القرارات
المصيرية التي تتعلق بالحرب والسلام ، بطريقة فردية ،
كما حدث في طريقة اتخاذ عبد الناصر قرار تأميم
شركة قناة السويس . وربما كان عبد الناصر خير من عبر عن
حقيقة ما حدث بقوله : « لقد نفذنا من سم الخياط » !

ولكن الظروف التي أنقذت مصر في عام ١٩٥٦ لم تتكرر
عندما أخطأ عبد الناصر خطأه الأكبر في يونية ١٩٦٧ ،

فقد احتلت اسرائيل سيناء وغزة والضفة الغربية والجولان ،
ولم تخرج من سيناء الا بحرب أخرى في أكتوبر ١٩٧٣ ، أعقبها
مبادرة سلام قسمت العرب قسمين بين مؤيد ومعارض •
وما زالت مصر والأمة العربية جمعاء تدفع فاتورة حساب أخطاء
عبد الناصر حتى اليوم !

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	تقديم
٧	المقال الأول
١٧	المقال الثاني
٢٧	المقال الثالث
٣٥	المقال الرابع
٤٣	المقال الخامس
٥١	المقال السادس
٥٩	المقال السابع
٦٩	المقال الثامن
٧٩	المقال التاسع
٨٩	المقال العاشر
٩٩	المقال الحادى عشر
١٠٩	المقال الثانى عشر
١١٧	المقال الثالث عشر
١٢٥	المقال الرابع عشر

صدر من هذه السلسلة

- ١ - مصطفى كامل في محكمة التاريخ ،
د. عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ط ٢ ، ١٩٩٤
- ٢ - علي ماهر ،
رشوان محمود جاب الله ، ١٩٨٧
- ٣ - ثورة يوليو والطبقة العاملة ،
عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٨٧
- ٤ - التيارات الفكرية في مصر المعاصرة ،
د. محمد نعمان جلال ، ١٩٨٧
- ٥ - غارات أوروبا على الشواطئ المصرية في العصور الوسطى
علية عبد السميع الحنزوري ، ١٩٨٧
- ٦ - هؤلاء الرجال من مصر ، ج ١ ،
لمعي المطيعي ، ١٩٨٧
- ٧ - صلاح الدين الأيوبي ،
د. عبد المنعم ماجد ، ١٩٨٧
- ٨ - رؤية الجبرتي لأزمة الحياة الفكرية ،
د. علي بركات ، ١٩٨٧
- ٩ - صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل ،
د. محمد أنيس ، ١٩٨٧
- ١٠ - توفيق دياب ملحة الصحافة الحزبية ،
محمود فوزي ، ١٩٨٧
- ١١ - مائة شخصية مصرية وشخصية ،
شكري القاضي ، ١٩٨٧
- ١٢ - هدى شعراوي وعصر التنوير ،
د. نبيل راغب ، ١٩٨٨

- ١٣ - اكلوبة الاستعمار المصري للسودان : رؤية تاريخية ،
د. عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ط ٢ ، ١٩٩٤
- ١٤ - مصر في عصر الولاة ، من الفتح العربي الى قيام الدولة
الطولونية ،
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٨
- ١٥ - المستشرقون والتاريخ الاسلامي ،
د. علي حسني الخربوطلي ، ١٩٨٨
- ١٦ - فصول من تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعي في مصر
دراسة عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢ - ١٩٥٢) .
د. حلمي احمد شلبي ، ١٩٨٨
- ١٧ - القضاء الشرعي في مصر في العصر العثماني ،
د. محمد نور فرحات ، ١٩٨٨
- ١٨ - الجوارى في مجتمع القاهرة المملوكية ،
د. علي السيد محمود ، ١٩٨٨
- ١٩ - مصر القديمة وقصة توحيد القطرين ،
د. احمد محمود صايون ، ١٩٨٨
- ٢٠ - دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩ : المراسلات السرية بين
سعد زغلول وعبد الرحمن فهمي ،
د. محمد انيس ، ط ٢ ، ١٩٨٨
- ٢١ - التصوف في مصر ابان العصر العثماني ، ج ١ ،
د. توفيق الطويل ، ١٩٨٨
- ٢٢ - نظرات في تاريخ مصر ،
جمال بدوي ، ١٩٨٨
- ٢٣ - التصوف في مصر ابان العصر العثماني ج ٢ ، امام
التصوف في مصر : الشعراني ،
د. توفيق الطويل ، ١٩٨٨

- ٢٤ - الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ - ١٩٣٦) ،
د. نجوى كامل ، ١٩٨٦
- ٢٥ - المجتمع الاسلامى والغرب ،
تأليف : هاملتون جب وهارولد بووين : ترجمة : د. احمد
عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٨٩
- ٢٦ - تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة ،
د. سعيد اسماعيل على ، ١٩٨٩
- ٢٧ - فتح العرب لمصر ، ج ١ ،
تأليف : الفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد أو حديد
١٩٨٩
- ٢٨ - فتح العرب لمصر ، ج ٢ ،
تأليف : الفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد أو حديد
١٩٨٩
- ٢٩ - مصر فى عصر الاخشيديين ،
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٩
- ٣٠ - الموظفون فى مصر فى عصر محمد على ،
د. حلمى احمد شلبى ، ١٩٨٩
- ٣١ - خمسون شخصية مصرية وشخصية ،
شكرى القاضى ، ١٩٨٩
- ٣٢ - هؤلاء الرجال من مصر ، ج ٢ ،
لمعى المطيعى ، ١٩٨٩
- ٣٣ - مصر وقضايا الجنوب الافريقى : نظرة على الأوضاع
الراهنة ورؤية مستقبلية ،
د. خالد محمود الكومى ، ١٩٨٩
- ٣٤ - تاريخ العلاقات المصرية المغربية ، منذ مطلع العصور
الحديثة حتى عام ١٩١٢ ،
د. يونان رزق ، محمد مزين ، ١٩٩٠

- اعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة ،
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٠
- المجتمع الاسلامى والغرب ، ج ٢ ،
تأليف : هاملتون بووين : ترجمة : د. احمد عبد الرحيم
مصطفى ، ١٩٩٠
- الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية
في ربع قرن ،
د. سليمان صالح ، ١٩٩٠
- فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى في العصر
العثمانى ،
د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، ١٩٩٠
- قصة احتلال محمد على لليونان (١٨٢٤ - ١٨٢٧) ،
د. جميل عبيد ، ١٩٩٠
- الأسلحة الفاسدة ودورها في حرب فلسطين ١٩٤٨ ،
د. عبد المنعم الدسوقي الجبى ، ١٩٩٠
- محمد فريد : الموقف والماساة ، رؤية عصرية ،
د. رفعت السعيد ، ١٩٩١
- تكوين مصر عبد العصور ،
محمد شفيق غربال ، ط ٢ ، ١٩٩٠
- رحلة في عقول مصرية ،
ابراهيم عبد العزيز ، ١٩٩٠
- الأوفاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر العثمانى ،
د. محمد عفيفى ، ١٩٩١
- الحروب الصليبية ، ج ١ ،
تألف : وليم الصورى ، ترجمة وتقديم د. حسن حشى
١٩٩١

- ٤٦ - تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ - ١٩٥٧) ،
ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩١
- ٤٧ - تاريخ القضاء المصرى الحديث ،
د. لطيفة محمد سالم ، ١٩٩١
- ٤٨ - الفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر الإسلامى ،
د. زبيدة عطا ، ١٩٩١
- ٤٩ - العلاقات المصرية الاسرائيلية (١٩٤٨ - ١٩٧٩) ،
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢
- ٥٠ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ - ١٩٥٤) ،
د. سهير اسكندر ، ١٩٩٣
- ٥١ - تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية ،
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس
الأعلى للثقافة ، فى إبريل ١٩٩١) أعدها للنشر :
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢
- ٥٢ - مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين ، فى القرن
الثامن عشر :
د. الهام محمد على ذهنى ، ١٩٩٢
- ٥٣ - أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة ،
د. محمد كمال الدين عز الدين على ، ١٩٩٢
- ٥٤ - الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى ،
د. محمد عفيفى ، ١٩٩٢
- ٥٥ - الحروب الصليبية ج ٢ ،
تأليف : وليم الصورى : ترجمة وتعليق : د. حسن
حشيش ، ١٩٩٢
- ٥٦ - المجتمع الريفى فى عصر محمد على : دراسة عن اقليم
المنوفية ،
د. حلمى أحمد شلبى ، ١٩٩٢

- ٥٧ - مصر الاسلامية وأهل الذمة ،
د . سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٩٢
- ٥٨ - أحمد حلمي سجين الحرية والصحافة ،
د . ابراهيم عبد الله المسلمي ، ١٩٩٣
- ٥٩ - الرأسمالية الصناعية في مصر ، من التمهيد الى التاميم
(١٩٥٧ - ١٩٦١) ،
د . عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٩٣
- ٦٠ - المعاصرون من رواد الموسيقى العربية ،
عبد الحميد نوفيق زكي ، ١٩٩٣
- ٦١ - تاريخ الاسكندرية في العصر الحديث ،
د . عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣
- ٦٢ - هؤلاء الرجال من مصر ، ج ٣ ،
لمعى المطيعي ، ١٩٩٣
- ٦٣ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر الاسلامية.
تأليف : د . سيدة اسماعيل كاشف ، جمال الدين سرور .
وسعيد عبد الفتاح عاشور ، أعدهما للنشر .
د . عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣
- ٦٤ - مصر وحقوق الانسان ، بين الحقيقة والافتراء دراسة
وثائقية ،
د . محمد نعمان جلال ، ١٩٩٣
- ٦٥ - موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧ - ١٩١٧) ،
سهام نصار ، ١٩٩٣
- ٦٦ - المرأة في مصر في العصر الفاطمي ،
د . نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٣
- ٦٧ - مساعي السلام العربية الاسرائيلية : الاصول التاريخية .
(أبحاث الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس)

- الأعلى للثقافة ، بالاشتراك مع قسم التاريخ بكلية البعثات
جامعة عين شمس ، في أبريل ١٩٩٣) ، أعدها للنشر :
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣
- ٦٨ - الحروب الصليبية ، ج ٣ ،
تأليف : وليم الصوري ، ترجمة : وتعليق : د. حسن
حبشي ، ١٩٩٣
- ٦٩ - نبوة موسى ودورها في الحياة المصرية (١٨٨٦ - ١٩٥١) ،
د. محمد أبو الاسعد ، ١٩٩٤
- ٧٠ - أهل اللمة في الاسلام ،
تأليف : اس. ترتون ، ترجمة وتعليق : د. حسن حبشي
ط ٢ ، ١٩٩٤
- ٧١ - مذكرات اللورد كليرن (١٩٣٤ - ١٩٤٦) ،
اعداد : ترييور ايفانز ، ترجمة : د. عبد الرؤوف احمد
عمرو ، ١٩٩٤
- ٧٢ - رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية
لمصر في العصر الفاطمي (٣٥٨ - ٥٦٧ هـ) ،
أمينه احمد امام ، ١٩٩٤
- ٧٣ - تاريخ جامعة القاهرة ،
د. رؤوف عباس حامد ، ١٩٩٤
- ٧٤ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية ، ج ١ ، في العصر الفرعوني
د. سمير يحيى الجمال ، ١٩٩٤
- ٧٥ - أهل الذمة في مصر ، في العصر الفاطمي الاول ،
د. سلام شافعي محمود ، ١٩٩٥
- ٧٦ - دور التعليم المصري في الانفصال الوطني (زمن الاحتلال
البريطاني) ،
د. سعد اسماعيل علي ، ١٩٩٥

- ٧٧ - الحروب الصليبية ، ج ٤ ،
تأليف : وليم الصوري ، ترجمة وتعليق : د. حسن
حبشى ، ١٩٩٤
- ٧٨ - تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣ - ١٨٩٩) ،
نعمات أحمد عثمان ، ١٩٩٥
- ٧٩ - تاريخ الطرق الصوفية في مصر ، في القرن التاسع عشر ،
تأليف . فريد دى يونج ، ترجمة : عبد الحميد فهمي
الجمال ، ١٩٩٥
- ٨٠ - قناة السويس والنفاس الاستعماري الأوروبي
(١٨٨٢ - ١٩٠٤) ،
د. السيد حسين جلال ، ١٩٩٥
- ٨١ - تاريخ السياسة والصحافة المصرية ، من هزيمة يونيو
الى نصر أكتوبر ،
د. رمزي ميخائيل ، ١٩٩٥
- ٨٢ - مصر في فجر الاسلام ، من الفتح العربي الى قيام الدولة
الطولونية ،
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ط ٢ ، ١٩٩٤
- ٨٣ - مذكراتي في نصف قرن ، ج ١ ،
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٤
- ٨٤ - مذكراتي في نصف قرن ، ج ٢ ، القسم الاول ،
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٥
- ٨٥ - تاريخ الاذاعة المصرية : دراسة تاريخية (١٩٣٤ - ١٩٥٢) ،
د. حلمي أحمد شلبي ، ١٩٩٥
- ٨٦ - تاريخ التجارة المصرية في عصر الحرية الاقتصادية
(١٨٤٠ - ١٩١٤) ،
د. أحمد الشربيني ، ١٩٩٥

- ٨٧ - مذكرات اللورد كليرن ، ج ١ ، (١٩٣٤ - ١٩٤٦) ،
اعداد : تريفور ايمانز ، ترجمة وتحقيق : د. عبد الرؤوف
احمد عمرو ، ١٩٩٥
- ٨٨ - التذوق الموسيقى وتاريخ الموسيقى المصرية ،
عبد الحميد نوفيى زكى ، ١٩٩٥
- ٨٩ - تاريخ الموانئ المصرية فى العصر العثمانى ،
د. عبد الحميد حامد سليمان ، ١٩٩٥
- ٩٠ - معاملة غير المسلمين فى الدولة الاسلامية ،
د. نريمان عبد الكريم احمد ، ١٩٩٦
- ٩١ - تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط ،
تأليف : بيتر مانسفيلد ، ترجمة : عبد الحميد فهمى
الجمال ، ١٩٩٦
- ٩٢ - الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ - ١٩٣٦)
ج ٢ ،
نجوى كامل ، ١٩٩٦
- ٩٣ - قضايا عربية فى البرلمان المصرى (١٩٢٤ - ١٩٥٨) ،
د. نبيه ببوى عبد الله ، ١٩٩٦
- ٩٤ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ - ١٩٥٤) ،
ج ٢ ،
د. سهير اسكندر ، ١٩٩٦
- ٩٥ - مصر وافريقيا ٥٠ الجذور التاريخية الافريقية المعاصرة ،
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس
الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات
الافريقية بجامعة القاهرة) ، أعدها للنشر ، د. عبد العظيم
رمضان

- عبد الناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ - ١٩٧٠) ،
تأليف : مالكولم كير ، ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو
- العربان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول من
القرن التاسع عشر ،
د. ايمان محمد عبد المنعم عامر
- هيكل والسياسة الأسبوعية ،
د. محمد سيد محمد
- تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليوناني -
الروماني) ج ٢ ،
د. سمير يحيى الجمال
- موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر القديمة ،
أ. د. عبد العزيز صالح ، أ. د. جمال مختار ،
أ. د. محمد ابراهيم بكر ، أ. د. ابراهيم نصحي ،
أ. د. فاروق القاضي ، أعدها للنشر : أ. د. عبد العظيم
رمضان .
- ثورة يوليو والحقيقة الغائبة ،
اللواء/ مصطفى عبد المجيد نصير ، اللواء/ عبد الحميد
كفافي ، اللواء/ سعد عبد الحفيظ ، السفير/ جمال منصور
- المقطم جريدة الاحتلال البريطاني في مصر ١٨٨٩ - ١٩٥٢ ،
د. تيسير أبو عرجة
- رؤية الجبرتي لبعض قضايا عصره ،
د. على بركات
- تاريخ العمال الزراعيين في مصر (١٩١٤ - ١٩٥٢) ،
د. فاطمة علم الدين عبد الواحد

- ١٠٥ - السلطة السياسية في مصر وقضية الديمقراطية (١٨٠٥ -
١٩٨٧) ،
د. أحمد فارس عبد المنعم
- ١٠٦ - الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية
في ربع قرن ، ج ٢ ،
د. سليمان صالح
- ١٠٧ - الأصولية الإسلامية في العصر الحديث ،
تأليف : دليب هير ، ترجمة : عبد الحميد الجمال
- ١٠٨ - مصر للمصريين ، ج ٤ ،
سليم خليل النقاش
- ١٠٩ - مصر للمصريين ، ج ٥ ،
سليم خليل النقاش
- ١١٠ - مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية (عصر سلاطين
المماليك) ، ج ١ ،
د. البيومي اسماعيل الشربيني
- ١١١ - مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية (عصر سلاطين
المماليك) ، ج ٢ ،
د. البيومي اسماعيل الشربيني
- ١١٢ - اسماعيل باشا صدقي ،
د. محمد محمد الجوادى
- ١١٣ - الزبير باشا ودوره في السودان (في عصر الحكم المصري) ،
د. اسماعيل عز الدين
- ١١٤ - دراسات اجتماعية في تاريخ مصر ،
أحمد رشدى صالح

- ١١٥ - مذكراتي في نصف قرن ، ج ٣ ،
أحمد شفيق باشا
- ١١٦ - أديب اسحق (عاشق الحرية) ،
علاء الدين وحيد
- ١١٧ - تاريخ القضاء في مصر العثمانية (١٥١٧ - ١٧٩٨) ،
عبد الرازق إبراهيم عيسى
- ١١٨ - النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك ،
د. البيومي اسماعيل الشربيني
- ١١٩ - النقابات في مصر الرومانية ((دراسة وثائقية))
حسين محمد أحمد يوسف
- ١٢٠ - يوميات من التاريخ المصري الحديث (١٧٧٥ - ١٩٥٢) ،
لويس جرجس
- ١٢١ - الجلاء ووحدة وادي النيل (١٩٤٥ - ١٩٥٤) ،
محمد عبد الحميد الحناوي
- ١٢٢ - مصر للمصريين ج ٦ ،
سليم خليل النقاش
- ١٢٣ - السيد أحمد البدوي ،
د. سعيد عبد الفتاح عاشور
- ١٢٤ - العلاقات المصرية الباكستانية في نصف قرن ،
د. محمد نعيان جلال
- ١٢٥ - مصر للمصريين ج ٧ ،
سليم خليل النقاش
- ١٢٦ - مصر للمصريين ج ٨ ،
سليم خليل النقاش

- ١٢٧ - مقدمات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ - ١٩٥٨) ،
ابراهيم محمد محمد ابراهيم
- ١٢٨ - معارك صحفية ،
جمال بدوى
- ١٢٩ - الدين العام (وائره في تطور الاقتصاد المصرى)
(١٨٧٦ - ١٩٤٣) ،
د. يحيى محمد محمود
- ١٣٠ - تاريخ نقابات الفنانين في مصر (١٩٨٧ - ١٩٩٧)
سمير فريد
- ١٣١ - الولايات المتحدة وثورة يوليو ١٩٥٢ (١٩٥٢ - ١٩٥٨) ،
تأليف : جايل ماير ، ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو
- ١٣٢ - دار المندوب الساسمى في مصر ج ١ ،
د. ماجدة محمد محمود
- ١٣٣ - دار المندوب الساسمى في مصر ج ٢ ،
د. ماجدة محمد محمود
- ١٣٤ - الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثمانى
للداندى ،
يقلم : عزت حسن افندى الداندى ، ترجمة : جمال سعيد
عبد الغنى
- ١٣٥ - اليهود في مصر المملوكية (في ضوء وثائق الجيزة)
(٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م)
د. محاسن محمد الوقاد
- ١٣٦ - أوراق يوسف صديق
تقديم : د. عبد العظيم رمضان

- ١٣٧ - تجار التوابل في مصر في العصر المملوكي
د. محمد عبد الغنى الأشقر
- ١٣٨ - الاخوان المسلمون وجنود التطرف الديني والارهاب في
مصر ،
السيد يوسف
- ١٣٩ - موسوعة الغناء المصرى في القرن العشرين ،
بقلم : محمد قابيل
- ١٤٠ - سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الأول من القرن
التاسع عشر ١٢٢٦ - ١٢٦٥ هـ / ١٨١١ - ١٨٤٨ م ،
طارق عبد العاطى غنيم بيومى
- ١٤١ - وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك في مصر ،
لطفي أحمد نصار
- ١٤٢ - مذكراتي في نصف قرن ، ج ٤ ،
أحمد شفيق باشا
- ١٤٣ - دبلوماسية البطالة في القرنين الثاني والأول ق.م ،
د. منيرة الهمشري
- ١٤٤ - كشوف مصر الافريقية في عهد الخديوى اسماعيل
(١٨٦٣ - ١٨٧٩)
عبد العليم خلاف
- ١٤٥ - النظام الادارى والاقتصادى في مصر في عهد دقلديانوس
(٢٨٤ - ٣٠٥ م)
د. منيرة الهمشري
- ١٤٦ - المرأة في مصر المملوكية ،
د. أحمد عبد الرازق

- ١٤٧ - حسن البنا .
متى . . كيف . . لماذا ؟
د. رفعت السعيد
- ١٤٨ - القديس مرقس وتأسيس كنيسة الاسكندرية ،
تأليف : د. سمير فوزى ، ترجمة : نسيم مجلى
- ١٤٩ - العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر ،
حسام محمد عبد المعطى
- ١٥٠ - تاريخ الموسيقى المصرية (أصولها وتطورها)
د. سمير يحيى الجمال
- ١٥١ - جمال الدين الأفغانى والثورة الشاملة ،
السيد يوسف
- ١٥٢ - الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية
(٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م)
د. محاسن محمد الوقاد
- ١٥٣ - انحروب الصليبية (المقدمات السياسية) ،
د. عليّة عبد السميع الجنزورى
- ١٥٤ - دجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الاسلامية فى
العصور الوسطى ،
عليّة عبد السميع الجنزورى
- ١٥٥ - عصر محمد على ونهضة مصر فى القرن التاسع عشر
(١٨٠٥ - ١٨٨٣) ،
د. عبد الحميد البطريق
- ١٥٦ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية ج ٣ (فى العصر
الاسلامى)
د. سمير يحيى الجمال

- ١٥٧ — تاريخ الطب والصيدلة المصرية في العصر الاسلامى
والحديث د
د . سمير يحيى الجمال
- ١٥٨ — نائب السلطنة المملوكية فى مصر (من ٦٤٨ — ٩٢٣ هـ /
١٢٥٧ — ١٥١٧ م)
د . محمد عبد الفنى الاشقر
- ١٥٩ — حزب الوفد (١٩٣٦ — ١٩٥٢) د
د . محمد فريد حشيش
- ١٦٠ — حزب الوفد (١٩٣٦ — ١٩٥٢) د
د . محمد فريد حشيش
- ١٦١ — السيف والنار فى السودان
تأليف سلاطين باثا
- ١٦٢ — السياسة المصرية تجاه السودان (١٩٣٦ — ١٩٥٣)
د . تهامن همام
- ١٦٣ — مصر والحركة الفرنسية
المستشار / محمد سعيد العشماوى
- ١٦٤ — الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ
(اعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الاعلى للثقافة
بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الامريكية بجامعة
القاهرة » ٢٠ — ٢١ ديسمبر ١٩٩٧)
اعداد : ا . د . عبد العظيم رمضان
- ١٦٥ — التعليم والتغيير الاجتماعى فى مصر فى القرن التاسع عشر
سأدى سليمان محمد السهم
- ١٦٦ — مذكرات معتقل سياسى صفحة من تاريخ مصر
السيد يوسف

- ١٦٧ - الحركة العلمية والأدبية فى القسطاط منذ الفتح العربى الى نهاية الدولة الاخشيديية
د ٠ صفى على محمد
- ١٦٨ - مؤرخون مصريون من عصر الموسوعات ،
يسرى عبد الغنى
- ١٦٩ - مدن مصر الصناعية فى العصر الاسلامى الى نهاية عصر الفاطميين (٢١ - ٥٦٧ هـ / ٦٤٢ - ١١٧١ م) ،
د ٠ صفى على محمد عبد الله
- ١٧٠ - القرية المصرية فى عصر سلاطين المماليك (٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م) ،
مجدى عبد الرشيد بحر
- ١٧١ - تاريخ الجالية الأرمنية فى مصر القرن التاسع عشر ،
محمد رفعت
- ١٧٢ - تاريخ اهل الذمة فى مصر الاسلامية (من الفتح العربى الى نهاية العصر الفاطمى ج ١) ،
د ٠ فاطمة مصطفى عامر
- ١٧٣ - تاريخ اهل الذمة فى مصر الاسلامية (من الفتح العربى الى نهاية العصر الفاطمى ج ٢) ،
د ٠ فاطمة مصطفى عامر
- ١٧٤ - مصر وليبيا فيما بين القرن السابع والقرن الرابع ق.م ،
د ٠ أحمد عبد الحليم دراز
- ١٧٥ - محمد توفيق نسيم ودوره فى الحياة السياسية ،
عادل ابراهيم الطويل
- ١٧٦ - الملاحاة النيلية فى مصر العثمانية (١٥١٧ - ١٧٩٨ م) ،
د ٠ عبد الحميد حامد سليمان

- ١٧٧ - سياسة مصر العسكرية ازاء حروب الشرق الأوسط ،
لواء/د صلاح سالم
- ١٧٨ - العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى في القرن
الثامن عشر ،
د سحر على حنفى
- ١٧٩ - دور الحماية العثمانية في تاريخ مصر (١٥٦٤ - ١٦٠٩ م) ،
د عفاف مسعد السيد العبد
- ١٨٠ - الحقيقة التاريخية حول قرار تأميم شركة قناة السويس ،
بقلم/د عبد العظيم رمضان

رقم الابداع ٢٠٠٠/٣٤٥٣

الترقيم الدولي 6 — 0617 — 01 — 977 I.S.B.N.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
فرع الصحافة

يضم هذا الكتاب مجموعة المقالات التاريخية التي
نشرتها في جريدة الوفد الغراء رداً على فيلم «ناصر
١٩٥٦»، الذي أثار عرضه ضجة في الرأي العام المصري
والعربي منذ عرضه.

كان هدفي من كتابة هذه المقالات وقتئذ التصدي
للأباطيل التي قدمها هذا الفيلم، بمحاولته تصوير قرار
تأميم شركة قناة السويس في صورة عمل بطولي خالده
واخفاء الأخطاء القاتلة التي ارتكبها عبدالناصر عند اتخاذ
هذا القرار! فلقد كان من حق الشعب المصري والشعوب
العربية معرفة الحقيقة التاريخية حول هذا القرار وما ترتب
عليه، من واقع الوثائق التاريخية الأصلية التي لا تكذب
بعيداً عن الدعاية والتزويق!